شعر ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في مرآة النقد

(دراسة فنية)

د. إيمان محمد عبد الفتاح الشماع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملخص للبحث

جاء هذا البحث تصويراً وتعبيراً عن ثورة يناير ٢٠١١

وقد استهل بتمهيد وجيز تناول مقدمات الثورة وأسبابها ثم دار في المحاور الآتيه :

الفصل الأول : ثورة ٢٥ يناير في الشعر المصري

الفصل الثاني : ملاحظات نقدية علي شعر الثورة

وقد خصصته للملاحظات النقدية التي أبديتها وأبداها غيري من كبار الشعراء والنقاد علي شعر الثورة

وانتهى البحث إلي عدة نتائج من أهمها:

أولاً: تنبأ بعض شعراء مصر بالثورة قبل اندلاعها وحدوثها ودعا بعضهم في تلك المرحلة إلي الثورة وحرض عليها.

ثانياً: دلل البحث عن وجود ظواهر فنية في شعر الثورة مثل التضمين وتوظيف الأساطير والشخصيات التراثية والأحداث التاريخية, والتناص.

ثالثاً: انتهى البحث إلي إثبات تفاوت المستوى الفني لشعر الثورة تفاوتاً هائلاً فبينما بلغ القليل منه ذروة التعبير الشعري والفن الرفيع نجد ان معظمه قد شابه قدر هائل من المباشرة والخطابية والتقريرية وطغيان النثرية علي الخطاب الشعرية أو كونه في النهاية اقرب إلي النظم منه إلي الشعر

- وقد أشرت لمعظم شعراء مصر المعاصرين الذين كتبوا عن الثورة واستشهدت بقصائدهم وآمل ان يكون هذا البحث قد نجح في إلقاء الضوء علي شعر الثورة الذي لم يحظ حتى الآن فيما أظن بدراسة شاملة مفصلة متعمقة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Abstract

The research is depiction about January 2011 revolution

It has been initiated by a brief introduction about its causes navigating through those axis:

First chapter: 25 January Revolution at Egyptian poetry

Second Chapter: critical notes about Poetry Revolution

It mentions critical notes , Which I wrote , also I mentioned the critical notes done by Senior critics and Revolution poetry .

The search conclusion reached a several Results Including:

First: Some Egyptian Poets predicted Revolution , Before its Eruption , where few of them had called for it.

Second: the study had indicated the existence of Artistic Phenomena at Revolution Poetry such as Inclusion and using myths Figures , and Historical Events , and intertextuality.

Third: The study has proved that there is a great variety in the Technical level of the Revolution poetry , where a few of it has reached a higher level , while mentioning the poetic expressions, where most of it has contained great volume of direct and reportage speech , where oratorical and declarative is considered to have a high domination on it . considered to be at End a prose more than a poetry .

I mentioned most of Egypt 's contemporary poets who wrote about the revolution and I quoted their poetries.

I hope that study has Succeed to shed light on Poetry Revolution Which hasn't Received a Comprehensive detailed in- depth study so far .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

ما إن هبت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في مصر ، حتى انطلق الشعر المصري معبرا عنها، مسجلا أحداثها ومعاركها ، محتفيا بها .. داعيا لاستمرارها حتى النصر .. مبجلا شهداءها .. وبعد سقوط النظام السابق وتخلى رأس النظام عن الحكم ؛ استمر الشعراء يتابعون أحداثها .. ويشيدون بأبطالها وتقضُّ مضاجِعَهُم انتكاساتها العارضة وقلقهم على مصيرها .. وتراوح شعر الثورة بين الإبداع المبهر المتميز فنيا من جهة ، والنَّظْم المعيب أو المحتفى بالسياسي على حساب الفني من جهة أخرى .

ويأتي هذا البحث ليتناول بالدراسة الفنية جوانب من الشعر المصري الذي عبر عن الثورة منذ اندلاعها بدءا من الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ حتى إجراء انتخابات رئاسة الجمهورية التي تمت في ٢٤ يونيه ٢٠١٢.

فبعد إلمامنا بمعظم ما كتبه شعراء مصر عن تلك المرحلة عمدنا إلى دراسة شعرهم دراسة فنية نقدية في المحورين الآتيين :

المحور الأول : ظواهر فنية في شعر الثورة :

أولا : التضمين .

ثانيا : ابتداع الأساطير ، وتوظيف الشخصيات التراثية وأحداث التاريخ .

ثالثا : التناص .

وقد سقنا في موضعه من ذلك المحور ملامح كل ظاهرة من تلك الظواهر بما يوضح دورها وقيمتها في ذلك السياق .

المحور الثاني : تفاوت المستوى الفني لقصائد الثورة :

وقد دللنا على تفاوت هذا المستوى بعرض نماذج رائعة ، ونماذج تشوبها العيوب . وأوضحنا أن هناك قصائد جيدة امتلكت ناصية الفن الرفيع والإبداع المتميز بما انطوت عليه من حرارة العاطفة وقوة الانفعال وإشراق الديباجة وعذوبة اللغة والموسيقى وإحكام المعاني والصور الشعرية . بينما ثمة قصائد إتسمت بالسطحية والمباشرة وعدم إحكام الموسيقى والمعاني وباللغة الضعيفة والأسلوب الركيك . بل وقعت فيها أخطاء في اللغة، وفي العروض (علم موسيقى الشعر الكلاسيكي) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وينتهي هذا البحث بخاتمة تلخص وترصد نتائجه .

وآمل أن يسد هذا البحث جانبا من الفراغ الذي تعاني منه مكتبتنا الأدبية التي لم تضم فيما أعلم حتى الآن دراسة فنية نقدية شاملة لشعر الثورة .

والله ولي التوفيق ،،،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

ظواهر فنية في شعر الثورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا : التضمين:

وأعنى بالتضمين مفهومه الأدبي العام وليس مفهومه الضيق. ويقصد به فى مفهومه العـــام أن يضمن الشاعر قصيدته بيتا أو أكثر أو شطرا أو أقل من شعر غيره، أو أن يضمن قصيدته آيـــةً أو آيات قرآنية ، أو قولا مأثورا أو عبارة أو عبارات وردت فى أسفار التراث سواء كان اســـتخدام النص السابق حرفيا أو بتصرف . والمعروف أن التضمين اصطلاحا بمفهومه الضيق هـــو أن يأخـــذ الشاعر من شعر غيره بيتا أو شطرا بلفظه ومعناه[١].

فالتضمين قد يكون بنقل المأثور حرفيا ، وقد يكون بنقله بتصرف وذلـــك بـــالمفهوم الأدبى العام للتضمين وليس بالمعنى الاصطلاحى القديم التقليدى الذي يقصر التضمين على نقل البيـــت أو القسيم كما هو[٢].

وفى شعر الثورة أمثلة كثيرة لهذا التضمين .

من ذلك تضمين الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى إحدى قصائده (إرادة الحياة) : البيـــتين الشهيرين الذين أبدعهما شاعر تونس أبو القاسم الشابى :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القَدَرْ

---

(1) معجم المنجد في اللغة – دار المشرق – بيروت – الطبعة الخامسة والثلاثون ص ٤٥٥.
- والتضمين في كتب التراث هو " قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شِعرك أو في وسطه كالمتمثل" .
(د. عبد الناصر حسن – تجليات الشعرية عند عبد الوهاب البياتي – الناشر المجلس الأعلى للثقافة – الطبعة الأولى ٢٠١٣ - ص٢٩٠) .

(2) ويرى الدكتور عبد الناصر حسن في المرجع السابق – ص ٢٩١ أنه : " في إطار الدراسات النقدية الحديثة بوسعنا أن نعد التضمين – بمعناه التراثي – شكلا من أشكال التناص ، انبثاقا من استحضار الشاعر للنصوص التي يوافقها أو يعارضها ، بوصفه ضربا من استلهام التراث وتمثلـــه وتوظيفـــه. ولكن هذا الرأي مختلف بشأنه ففي رأي آخر أن التناص يختلف عن الاقتباس والتضمين وإحياء القديم لأن شرط التناص هو تحويل النص الأسبق لخلق دلالة جديدة يأتي بها النص الجديد وهو ما نعرض له تحت عنوان التناص.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولابد لليل أن ينجلى

ولابد للقيد أن ينكسر

والجدير بالذكر أن هذين البيتين كانا من شعارات الثورة المعاصرة فى تـــونس وفى مـــصر، وكانا حاضرين في الذهن الجمعي للأمة العربية طوال مراحل نضالها الطويل ضد الاستعمار والطغاة المحليين معًا . مما جعل تضمينهما قصائد شعراء الثورة إثراءً لتلك القصائد وشـــحنها بطاقـــة مـــن الحماس والثورية. لما لها من قدرة على التأثير تجلت فى رفع الملايين لهما شعارا إبَّان الثورتين .

يقول حجازى فى قصيدته " إرادة الحياة " وقد ضَمَّنَها شطرا من قصيدة أبى القاسم الشابى، واستلهمها فى كل سياق قصيدته :

" إذا الشعب يوما أراد الحياةَ "
فلابد من أن يقومَ العبيدُ قيامَتَهُمْ
يموتون فى أول الليلِ ،
إن كان لابد من أن يموتوا
لأنهمُ سيقومون فى مطلعِ الفجرِ ،
كى يولدوا فى غدٍ من جديدْ !

** كذا ضَمَّن الشاعر فؤاد طمان قصيدته "نداء القيامة " بيتا شهيرا من شعر التـــراث، فى سياق حديثه عن الأحوال التى سبقت الثورة، حيث لم يكن النظام الحاكم يستمع إلى أنات الشعب وطموحاته، بل كان سادرا فى غيه، وكانت الثورة لم تتهيأ بعد لانطلاقتها الحاسمـــة، يقـــول ممهـــدا بالبيت التراثى الشهير :

" لقد أسمعتَ لو ناديتَ حَيًّا
ولكن لا حياةَ لمن تنادى "
فصبرا أيها الوطن المُفَدَّى
إلى أن يُبعثَ الأبطالُ يومًا
ويومِضَ جمرُنا بين الرمادِ ![1]

---

(1) يلاحظ أن هذه القصيدة تتخذ أسلوبا غير مألوف في التقفية . فقوافيها غير منتظمة ، يغيرها الـــشاعر بطريقة تلقائية غير ملتزمة بنظام أو ترتيب تقليدي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن الشعر الأجنبي ضمن الشاعر فؤاد طمان قصيدته " النذير " أبياتا " للـــشاعر العـــالمي بابلونيرودا من قصيدتين شهيرتين له يعرفهما تماما المطلعون على شعره وهما قصيدتاه " إلى التفاحة " و " المحررون " ، مستخدما إياهما أفضل استخدام لإحداث الأثر المرجو من التضمين وهو تكثيـــف المعنى والشعور والاستفادة من نص سابق له وقعه على وجدان المتلقي المثقف الذي عـــرف ذلـــك النص السابق. فنيرودا في قصيدته "إلى التفاحة " من ديوان " عشرين قصيدة حب " يقول :

" أيتها التفاحة .. أريد أن احتفل بكِ .. مَنْ قَدَّكِ

من الفردوس ؟ .. نقيةً .. خَدًّا يتفجر .. بالفجر ".

** وفؤاد طمان يضمن قصيدته النذير هذه الأبيات فيقول مخاطبا الثورة :

تعالىْ لكي نستريح قليلا على صفحة النيلِ ..

ثم نمر بخيمتهم فنرى من بعيد " نرودا " ،

وقد قيدوه – وشمسُك طالعةٌ – بالحبالْ .

وكان يغازل تفاحةً تتدلى هنا من غصونكِ :

من قَدَّكِ الآن من جنةِ الله ، فاتنةً ..

يتفجر خَدُّكِ بالفجر عبر الظلامْ ؟

** وفي قصيدته " المحررون " من شعر الحرية والنضال العالمي الشهير يقول "نيرودا":

تلك هي الشجرة .. شجرة الحرية والنضالْ ..

انظر إلى جدائلها ..

والمس أشعتها المتجددة ..

حيث ثمارها النابضة تنشر كل يوم نورها ..

خذ تفاحتَكَ وقلبَكَ وحصانَك

وانطلق لحراستها ..

** وفؤاد طمان يضمن قصيدته " النذير " هذه الأبيات فيقول عن نيرودا :

وكان يصد الجنودَ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويحمي الغصون التي سمقت فجأة حولنا

ثم مدت على الكون أندى الظلالْ ..

يناجي أشعتها الذهبيةَ ..

يسلبه سِحرُها لُبَّهُ

فيعبئ تفاحَها .. ويغني لها ..

ويجود علينا بما في السلالْ ..

يقول احرسوها ..

خذوا خيلكم وافتدوها ..

لقد آذنتنا شموسُ العلا بالنضالْ ..

وإذا كان التضمين من قصيدة " إلى التفاحة " يكاد يكون حرفيا فإن التضمين من قصيدة " المحررون " كان بتصرف إلا أنه حافظ على جوهر أبيات النص معنى وصورا وإلى حد ما ألفاظا .

أما الشاعر إيهاب البشبيشى فقد ضَمَّنَ شعره بيتا من تراث شعر العامية أو بالأحرى جزءًا من البيت، وجعل التضمين قاصرا على عبارة من شعر الفصحى أكملها الشاعر بكلماته. وأصـــل البيت كما ورد فى النص الشعبى:

" أولوا لعين الشمس ما تحماشى أحسن حبيب القلب صابح ماشي "(1)

فقصر الشاعر التضمين على الكلمات الثلاث الأولى من النص الشعبي بعد أن ألبسها ثوب الفصحى ، فجاءت أبياته متشحة بالجلال :

قُولوا لعَيْنِ الشمسِ فى "التحريرِ"

لا تأبهى وإلى الشهيد أشيرى

قولى لهم أنا قُبلةُ الله التى

---

(1) قيل إن هذا البيت ابتدعه في الأصل الوجدان الشعبي صبيحة وداع المصريين لسعد باشا زغلول زعيم الأمة وهو في طريقه للمنفى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تغشى السماءَ صباح كل بكورِ

قولى لهم إن الحياةَ بأَسْرها

نهضت لتغسلَ وجهَها بالنورِ

وأما الشاعر فاروق شوشة فقد ضَمَّنَ قصيدَتَه عبارة " اخلع نعلك " ، تلك العبارة القرآنية التى وردت فى سورة طه " الآية ١٢ " (إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طُوى) . يقول الشاعر :

" اخلع نعلَكْ "

واخفض رأسكْ

واخشعْ

هذا ميدان التحريرِ

وقدس الأقداسْ

** كذا ضَمَّنَ الشاعر أحمد عنتر مصطفى قصيدته " وداعا أيتها الثورة " الآيـــة القرآنيـــة " تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتَبَّْ " بطريقة خاصة، فقد استفاد من نمط صياغتها القرآنية وقاس على مضمونها بعيدا عن مضمون الآية ذاته . أي أن التضمين هنا أتى بتصرف من جانب الشاعر . يقول الـــشاعر بعد أن وجه دعاء الهلاك إلى الباغي بدلا من "أبي لهب" مواكبا أحداث الثورة :

في ساحة التحرير تشتجر الروافدُ .. والسواعدُ ..

قادماتٍ من تخومِ القهرِ ..

تهدر نارُها نحو المَصَبّْ ..

تبت يدا الباغي وتَبّْ !

هذا هو البركانُ يقذف ما تأجج في خلاياهُ ..

يضخ الآن من أعماقه جمرَ الغضبْ ..

- وفي ذات القصيدة يُضَمِّن الشاعر أحمد عنتر مقطعا آخر جزءا من البيت التراثي الشهير:

" لا يَسْلَمُ الشرفُ الرفيع من الأذى

حتى يراقَ على جوانبه الدمُ "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيقول واصفا محاولات الانقضاض على الثورة ، ومحاولات الانتهازيين سـرقتها ونـسبتها إليهم، والمخاطر الجسيمة التي تتهدد الثورة والبلاد ، بمحاولات أعداء الثورة وفلول النظام القـديم العودة للمشهد ، وتسلل الرعاع والمجرمين إلى صفوف الثوار الشرفاء مما أشاع الفوضـى وجعـل الصدام يحل محل الوئام :

وطن تجسد في هشيمْ !

وهناك في أفق السماءِ

أرى سحائبَ من لهبْ ..

لكأنها نُذُرُ القيامةِ ..

مصر موعدُها :

وهذا صورها يَدْوِي ..

وها هو نهرِ نيل من حميمْ !

هَجَرَ الوداعةَ .. شاطئاهُ تَوَهَّجا ..

وامتد فوقهما الجحيمْ ..

تقعي فلول القهر .. قد دبت عقاربُها ،

تَشُولُ بسُمِّها أذنابُها ..

هرج وفوضى .....

** ويتسائل الشاعر متعجبا وساخرا وقد رأى المندسين يخترقون صـفوف الثـوار .. هـل هؤلاء الدخلاء هم الذين خرجت مصر تحتفي بثورتهم الباسلة :

هل هؤلاء هم الذينْ

خرجت لهم مصرٌ تلوِّح بالزغاريد السعيدةْ

سحقا لأبناء الأفاعي ..

دَنَّسُوا طُهْرَ الشهادةِ والفداءْ !

وتنافسوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كي " يَسْلَمَ الشرفُ الرفيعُ من الأذى " ؛

بإراقة الحِكَمِ الغوالي والخُطَبْ !

**** ونرى أن التضمين القرآنى والشعري هنا شحن القصيدة بشحنة من الجلال والمهابة وأثراه بصياغته الرفيعة .**

** ويضمِّن الشاعر عمر حاذق قصيدته "الخروج للنهار " جزءاً من بيت من النشيد الوطنى الشهير :

" بلادى بلادى :

لك حبى وفؤادى "

فيقول :

" بلادى بلادى "

نغنيكِ لكنهم يدخلون لخُوذاتهمْ

ويفرون فيها خنوعا ورعبًا !

** ومن شأن هذا التضمين أن ينقلنا إلى مناخ النشيد ويذكرنا بحماس المصريين الوطنى ويُحْيِى فينا مشاعر الولاء لمصر والاستعداد للفداء ..

** وإذا تساءلنا عن تفسير ظاهرة التضمين فى الشعر أو فوائدها أو ضوابطها فإننا نعرض إجابة الشاعر فؤاد طمان عن هذا التساؤل والتى تبدو لنا منطقية مقنعة. فهو يعتقد أن للتضمين وظيفتين : وظيفة جمالية ، وأخرى تتعلق بتكثيف المعنى وإبرازه والاستفادة من أبيات سابقة لها قيمتها السامية وتأثيرها الوجدانى أو العقلى. ومن ثم فإنه لا قيمة للتضمين إذا انصب على نص قديم لا يتميز بالجمال أو القدرة على إثارة المتعة أو الإدهاش أو إبراز المعنى وتكثيفه، أو كان مجرد ثرثرة لا تخدم تأثير المعنى على المتلقى . ويقول طمان إنه لم يُضمِّنْ شعرَه نصا واحدا لا يؤدى وظيفة من الوظيفتين السابقتين أو يؤديهما معا[١]

(1) فؤاد طمان : تجربتي الشعرية – مطبوعة مؤتمر الشعر السكندري الأول – دار السفير – الطبعة الأولى (٢٠٠٩) ص ٥١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** من جهة أخرى فإن أمثلة التضمين التى سقناها فى هذا البحث تنقسم كما ذكرنا آنفا إلى نوعين الأول يتمثل فى إيراد النص السابق حرفيا ، وهذا هو المعنى التقليدى المتعارف عليه للتضمين فى الأدب العربى . والنوع الثانى يتمثل فى إيراد النص السابق بتصرف يجريه الشاعر، أي مع تعديل اقتضته صياغة النص الجديد وغاياته . وهذا النوع الأخير لا يعتبره البعض تضمينا بل يفضلون أن يطلقوا عليه اصطلاح " التناص " وهو اصطلاح حديث فى النقد الأجنبي والعربي وجوهره هو استعانة النص الجديد بنص سابق والتحاور معه بالموافقة أو بالمخالفة أو بأى صورة أخرى من صور التداخل النَّصِّى. بشرط أن ينطوي هذا التضمين على درجة من تحويل المعنى حتى يكون تناصا وليس مجرد نقل واقتباس لا أثر له على النص الجديد .

ثانيا: ابتداع الأساطير وتوظيفها وتوظيف الشخصيات التراثية والأحداث التاريخية:

** أصبح توظيف الشخصيات التراثية فى القصيدة الحديثة ظاهرة فنية منتشرة معروفة. وقد تكون غاية الشاعر من الإشارة إلى شخصيات التراث هي تكثيف مضمون نصه وزيادة تأثيره على المتلقي، بالتذكير بقيم ومعان تمثلها هذه الشخصيات بصفاتها السامية أو المتميزة . وقد يكون إيرادها – خاصة عندما ينتفى المبرر – هو مجرد الرغبة فى إظهار معرفة الشاعر بالتراث . ولكن الهدف الأهم ينبغى أن يكون – فى رأى الشاعر فؤاد طمان – " هو استخدام هذه التقنية لتكثيف المعنى وتقوية تأثير النص، ولذا يجب أن تكون الشخصية التى نوظفها حاسمة وقاطعة فى الدلالة على قيمة أو معنى معين أو تقريبهما لذهن ووجدان المتلقى. فالشخصية التراثية التى يستعملها الشاعر – مثلها مثل الأسطورة – توفر وسيلة سريعة للوصول إلى المعنى المقصود والتأثير الفعال، من خلال الغوص فى أعماق التاريخ الإنساني ، دون حاجة إلى الثرثرة والتفاصيل الكثيرة، إذ قد تكفى مجرد الإشارة للشخصية التراثية أو الأسطورة على نحو فنى متقن لتكثيف المعنى وإبراز الدلالة وإحداث التأثير . خاصة وأن الشعر رفيع المستوى يتأبَّى على الإفراط فى استخدام التفاصيل ولا يتحمل الثرثرة[1] ".

** وتوظيف الشخصية التراثية فى الشعر هو تقنية خاصة بذاتها . والمعنى الضيق للتناص – وهو ما نتناوله فيما بعد – يتعلق باستخدام نص جديد لنص سابق يمتصه ويتحاور معه وصولا لإبداع جديد . أي يتعلق بتداخل النصوص الإبداعية وتحاورها، وبالتالى فالتناص بالمعنى الضيق قد

(1) فؤاد طمان : تجربتي الشعرية (المرجع السابق) ، ص ٢٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يختلف في رأينا عن توظيف الشخصية التراثية . ولكن المعنى الواسع للتناص فى النقد الحـديث لا يقصره على تحاور النصوص ، وإنما يعتبر التاريخ كله والوجود كله والإبداع الـسابق نَـصًّا يـتم للنص الجديد التحاور معه وهو ما نبينه تفصيلا في موضعه.

وقد وصل بعض النقاد إلى اعتبار توظيف الشخصيات التراثية هو التناص الشعرى ذاته[١]

** على سبيل المثال وظف الشاعر فؤاد طمان شخصية خازن الجنة "رِضوان"[٢] فى قـصيدته "على أبواب رِضوان " التى تحدث فيها عن إحدى شهيدات الثورة. فكان طبيعيا أن يتحدث عـن وعد الله سبحانه وتعالى للشهداء بالجنة . وقد نسج الشاعر أسطورته الخاصة فى هـذه القـصيدة مستفيدا كل الاستفادة من توظيف شخصية "رِضوان " ولقاء الشهيدة به ، تلك الشخصية الـتى يكفى مجرد ذكرها ليتخيل المتلقى أن الشهيدة تنعم بالجنة مع الأنبياء والصديقين وتجاب لرجائها فيها:

على ضفات " رِضوانٍ "
فتاةٌ فوق صدر الأم غافيةٌ ،
على العشب البعيدِ ،
تركت عندهما وشاحَ العيدِ ..
والعَلَمَ المفدَّى بين أصداء النشيدِ ..
وموعدا ضربته فى الفجر الملائكُ للنشورْ .. [٣]

---

(1) من هؤلاء الدكتور أحمد مجاهد الذي يتضح مفهومه هذا حتى من عنوان مؤلفه :
" أشكال التناص الشعري – دراسة في توظيف الشخصيات التراثية " ! الناشر : الهيئة العامـة للكتـاب مكتبة الأسرة – ٢٠٠٦) . وقد تحدث في هذا المؤلف عن التناص كمرادف لتوظيـف الشخـصيات التراثية.

(2) يلاحظ ان اسم " رِضوان " باعتباره حارس الجنة لم يرد في القرآن الكريم، ولكنه مذكور في بعض كتب التراث والمعاجم العربية (راجع : المعجم العربي الأساسي الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . الناشر : "لاروس " – الطبعة الأولى (٢٠٠٣) ص ٥٣٠.

(3) فؤاد طمان : ديوان أشعار الثورة (المرجع السابق) ص ٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** والواقع أن هذه القصيدة تنطوي على أسطورة كاملة ابتدعها الشاعر ، محورهـــا هـــو رضوان والشهيدة ، وليس فقط توظيف شخصية خازن الجنة .

** وثمة أمثلة أخرى لتوظيف شخصيات التراث وابتداع الأساطير في شعر فؤاد طمان كما في قصيدته " النذير "[1]. التي وظف فيها عدة شخصيات تراثية هي " قيصر"، وجيفـــارا ، وبـــلال مؤذن الرسول ، وزرقاء اليمامة ، ومسيلمة الكذاب مدعي النبوة، وأخـــيرا الـــشاعر المناضـــل بابلونيرودا .

** كذا وظف الشاعر حلمى سالم شخصيات " كُثَيِّرْ " حبيب " عزة " و" قيس بن الملوح " حبيب ليلى العامرية و" وَضَّاح اليمن[2] " بوصفهم أشهر العشاق فى التاريخ العربى .. لا يذكرون إلا ويتذكر المتلقى قصص حبهم الخالدة . استخدم الشاعر هذه الشخصيات التراثية ليعبر بتكثيف وإيجاز عما يعتمل فى صدره من هوى لفتاة لا يعرفها شخصيا استشهدت فى أيـــام الثـــورة الأولى وكان يتمنى لو أنه رآها قبل الأحداث ليقع فى حبها الآسر ويسعدان معا . لقد كفى توظيف أسماء هؤلاء العشاق ليعبر الشاعر عن إعجابه وحبه الغامر للشهيدة التي لفتته ملامحهـــا وموقفهـــا دون حاجة إلى أي تفاصيل أخرى .

يقول الشاعر[3]:

لو أني كنتُ رأيتُكِ قبل ينايرْ
كانت أَسَرَتْنى عيناكِ الصاحيتانْ
خطفتنى خصلاتُ الشَّعرِ المتروكةُ
ببدائيةِ رسام بوهيمىٍّ حول الوجهِ الصابحْ
لو أنى كنت رأيتُكِ قبل ينايرْ

---

(1) فؤاد طمان : ديوان أشعار الثورة (المرجع السابق) ص ٦٥. أنظر تفاصيل الاستدلال بهذا الـــنص في ص ٢٣ من هذا البحث .

(2) عُرف وضاح بوسامته، وقد أشيع أن ثمة علاقة آثمة ربطته بزوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك، الذي تقول الرواية إنه دفنه حيا في صندوق مغلق كان يختفي فيه بإلقائه في بئر عميق .

(3) حلمي سالم : ديوان ارفع رأسك عالية – المرجع السابق – ص ٥٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كنتُ وقعتُ كصَبٍّ فى حبكِ مغرومًا ،
مثل كُثَيِّرٍ عزةْ ..
أو قيس الممروض بلَيلَى ..
أو وضّاح اليمن المقتولِ بليلٍ..

** أما الشاعر محمد فريد أبو سعدة فقد وظف في شعره شخصيات " المماليك والتتـــار ". في قصيدته الطويلة " أنا صرت غيري ". يقول :

يعود " المماليكُ " ، أسمع في الليل وَقْعَ خيولِهمُ التَّتَرِيَّةِ ..
هل أنتِ يقظى ؟
فإن كنتِ نائمةً فدعيني لأقرأَ ما كتبَ النهرُ
فوق الصحافِ المعشّبةِ .. النهرُ يشكو ..
يعود المماليكُ فانتبهي واكتري السيف للعائدينْ(١)

** وهو يرمز بالمماليك والتتار لأعضاء النظام السابق وأجهزتهم الأمنية التي حكمت مـــصر قبل الثورة والتي خرجت لتقمعها ؛ فجاء توظيف هذه الشخصيات مثريا للدلالة التي أرادها الشاعر.

** ومن أكثر شعراء الثورة استخداما لتقنية توظيف الشخصيات التراثية في قصائده الشاعر أحمد عنتر مصطفى . ففي ديوانه " شمس لشماء أخرى " توظيف مكثف لتلك الشخصيات ويكفي الاستشهاد بقصيدته " هذا دمي "(٢) التي أشار فيها إلى الفراعين ، وموسى ، ويوسف ، والمسيح، ومحمد .

** فقد وصف المصريين بنسل الفراعين مما تتداعت معه على الفور في الذاكرة والـــشعور أمجادُ مصرَ القديمة :

نَسْلَ الفراعينِ .. أبناءَ الرماحِ .. ومنْ
كانوا فكان التُّقى والعزمُ والجَلَدُ

---

(1) محمد فريد أبو سعدة : ديوان : أنا صرت غيري (المرجع السابق) ص ١٠ (المقطع ٥) .
(2) أحمد عنتر مصطفى : ديوان " شمس لسماء أخرى " – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى ٢٠١٢ ص٤٧ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ويتحدث عن تراب الوطن الذي مشى عليه النبي موسى فيبعث هذا التوظيف في نفس المتلقى الإحساس بالجلال والمهابة :

لك السلامُ ترابا جَلَّ بارؤُهُ
ذراته بعبير الطهر تحتشدُ
مشى عليه كليمُ الله تكلؤهُ
عينُ السماءِ فتُخْزِي كلَّ من رَصَدوا

- ويتحدث عن يوسف وكيف بَرَّ بأهله وعبر بمصر السنوات العجاف فيبث هذا التوظيف للشخصية الجلال ويبعث على الأمل :

ويوسفُ الصدق في أهليه محتسبٌ
يحصى ويثبت ما غَلّوا وما حصدوا
لولاه سبعٌ صعاب كُنَّ مهلكةً
للحرث والنسل يقعي حولها الكمدُ

- ويتحدث الشاعر عن المسيح وأمه البتول مريم ورحلة عائلتهما المقدسة لمصر، وكيف وجدوا الأمان والسماحة بها ، ويشيد بوحدة أبناء عيسى ومحمد، فيضفى هذا التوظيف على مصر جلالا وعلى المتلقى اعتزازا ببلاده وحثا على الوحدة الوطنية لعنصري الأمة التي دعت لها الثورة وبرزت في انتفاضة المصريين الثوار آنذاك :

وابنُ البتولِ .. المسيحُ الطهرُ .. تحرسُهُ
للرب عينٌ ، رِضاها في السُّرى مددُ
ثلاثة يقطعون البيدَ .. رحلتهم
إلى الأمان عليها اليمن منعقدُ
حتى أتوْا مصرَ .. فاضت من سماحتها
نورا .. وفيها تلاقي الروح والجسدُ
لك السلامُ .. ترابا كله أَلَقٌ
تكاد تزهر إن مست حصاهُ يدُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** والشاعر بعد وصفه رحلة العائلة المقدسة لمصر يخاطب أبناء المسيح المصريين مؤكدا الرباط المقدس الذي يجمع عنصري الأمة المسلمين والأقباط، مهما توهم المتعصبون وأعداء الأمة الطامعين في فرقتهم والمؤملين في انقسامهم، وينتهي الشاعر إلى استحالة أن يفرقهم عدو :

أبناءَ عيسى رباطُ النور يجمعنا
ما يجمع الربُّ لا يرقى له البددُ
والأرض ليست ترابًا .. إنها قيمٌ
قد وَحَّدَتْنا .. ويأتي بعدها البلدُ
وشائج الروح لا تبلى أواصرُها
مهما توهم من كادوا ومن حقدوا
وهذه الأرض والتاريخ يعرفها
عيسى وأحمد في أفيائها سعدوا
طُهْرُ القداسات فيها والهدى رحمٌ
يسمو .. وعانق فيها الجمعةَ الأحدُ
ترنيمة القِسِّ في أفناء هيكلِهِ
ودعوة الشيخ – فجرا – للسما تفِدُ
صوتُ النواقيسِ في إيقاعِ هيبتها
ينساب فيها أذانٌ رجعُهُ غَرِدُ
أبناءَ عيسى هو اسم الله يكفلُنا
فلا يفرِّقُنا في مصرنا أحدُ

** ومثلما فعل الشاعر محمد فريد أبو سعدة وظف أحمد عنتر مصطفى أيضا في قصيدته " وداعا أيتها الثورة ": " المماليك " في عهد تدهورهم وانحطاطهم ، وجعلهم معادلا لفلول النظام الذي اندلعت الثورة ضده ، يقول :

مَن هذه ؟. مصرُ ؟ أم الهَرَمُ الحطامْ ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما إن أطاحت بالمماليك الشراذم عُنوةً؛

حتى تناسلَ من فلولهمُ الرِّعاعْ

** ويوظف أحمد عنتر مصطفى شخصية موسى النبي أيضا في ذات القصيدة، فهو يشبِّه الثورة الوليدة به عندما وضعته أسرته في سلة وأودعته ماء النيل خشية عليه من القتل، بعد أن دأب فرعون على قتل كل ذكر يولد، اتقاءَ النبوءة التي آمن بها وهي أن وليدا سيكبر ويسلبه عرشه . ويقول إن هذه الثورةَ – الوليدَ الجميلَ – قد تساءل عنها الناس واحتدم النقاش حول مبرراتها وأخطاء النظام السابق وتمهيده لتوريث نجل رئيسه وتعديل الدستور بما يخدم أغراضه، ثم يصف الشاعر اندلاع الثورة، ثم تسلل الانتهازيين وفلول الحرس القديم الذين أنكروا الثورة وحاربوها في البداية، ومحاولتهم الانقضاض عليها بعد نجاحها أو التمسح بها ونسبتها إليهم ، فيقول:

حَمَلَتْ مياهُ النهر في إحدى السلالْ

هذا الوليدَ الغضَّ بين قِماطِهِ المنسوجِ

من سَمْتِ الجلالْ ..

من ذا أبوهُ ؟ تساءلوا ..

والأم مَنْ ؟

ما الاسم ؟ ما أصل الجدود ؟ وما اللقبْ ؟

جمح السؤالْ ..

وامتد حبلُ نقاشهم حول الشرائع والذرائعِ ،

والنظام وشبهة التوريثِ ..

والتعديل في الدستورِ ..

واشتبهت على القوم الخُطبْ!

حتى إذا لَجّت بهم سبل الخصومةِ ؛

حيثما احتدم الجدالْ ..

وطغى على همس العقولِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أزيزُ نيران الصخبْ ؛
وثب الطَّغامُ ،
بصحبة الحرس القديمِ ..
وكل من نكروا البشارةَ والوليدَ
تهيأوا كي يَدَّعُوهُ
ويقتنوا شرف النسبْ ! (١)

ثالثا : ظاهرة التناص :

** يقول الدكتور / عبد الناصر حسن إنه " على الرغم من شيوع مصطلح " التنـــاص " في نقدنا الأدبي الحديث إلا أنه لم تثر كلمة جدلا نقديا شغل الحداثيين جميعا قدر الجدل الذي أثارتـــه كلمة التناص " Intertext " ... وربما كان السبب يعود إلى أن مُنَظِّرِي التناص لم يُصِغْ واحد منهم تعريفا جامعا مانعا يستوعب المصطلح من زواياه كافة بدءا من مفهومـــه ورصـــدا لمقوماتـــه وانتهاءً بآلياته المختلفة" (٢) .

** ويلخص الدكتور جابر عصفور فهمه للتناص بقوله إن " التناص هو علاقـــة التـــشكل المفتوح الذي يغدو به النص فسيفساء من الاقتباسات واستيعابا للنصوص الأخرى السابقة وتحويلا لها في الوقت نفسه "(٣) . ويقول : " إنني أفهم التناص بمعنى قريب إلى حد ما مـــن المعـــنى الـــذي حددته جوليا كريستيفا Julia Kfisteva . فالتناص تحول من نسق إلى نسق آخر على نحـــو يستلزم منطوقا جديدا " .

** والواقع أن المهتمين ببلاغة فن الكتابة ومؤرخي الأدب أيضا تحدثوا عن الروابط التي تربط عملا أدبيا بأعمال أدبية أخرى . وكان طبيعيا محاكاة الروائع التي أنتجت في الماضي أو التأثر بها لأنها

---

(1) أحمد عنتر مصطفى – المرجع السابق – ص٥٧ وما بعدها .
(2) د. عبد الناصر حسن : تجليات الشعرية عند عبد الوهاب البياتي – الناشر : المجلس الأعلى للثقافة – الطبعة الأولى (٢٠١٣) ص ٢٨٧.
(3) د. جابر عصفور – ذاكرة للشعر – سلسلة مكتبة الأسرة – الطبعة الأولى (٢٠٠٢) ص ٣٠ ، ٢٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسخت الطبيعة الرفيعة للأدب. وظلت غاية من غايات مؤرخي الأدب دائما إظهار العلاقة بين الأعمال الأدبية على مر العصور وذلك ببحثهم التقليدي في " التأثيرات " و " الأصول المرجعية " .

** لذلك ركز تعريف " رولان بارت " للتناص على ما يميزه عن تقليد الروائع القديمة . فالتناص هو إنتاج جديد يقوم به المبدع متأثرا أو مناقضا أو مؤيدا لنصوص سابقة . فهو ليس إعادة إنتاج (كما في محاكاة وتقليد القديم وبعض صور التضمين وبعض صور توظيف الأساطير والشخصيات التراثية) . وهو إنتاج جديد لأنه ليس تقليدا للقديم فالنص الأسبق تم تحويله (كله أو بعضه أو عبارة واحدة منه أو فكرة من أفكاره) لخلق دلالة جديدة يمثلها النص الجديد ، الذي استخدم بقصد أو بدون قصد تقنية التناص . أي أن النص الجديد حول النص القديم كله أو بعضه ليكون مادة تستخدم في بناء النص الجديد ضمن مواد أخرى قليلة أو هائلة .

** أما التناص الأدبي بالذات فقد عرفه " جيرار جنيت " بأنه حضور لنص سابق في نص آخر جديد " (على نحو أو آخر) . فيتكون من الاستشهاد (الحرفي أو بالتصرف) بجمل أو نصوص أو مقاطع لمؤلف آخر أو للمؤلف نفسه، أو يتمثل في استخدام نص سابق كمادة لبناء النص الجديد على نحو أو آخر مع تحويله لإنتاج دلالة جديدة حتى ولو كانت مؤيدة في المعنى للنص السابق .

ففي التناص إذن يمتص النص الجديد النصوص السابقة ويحولها إلى ما يخدم النص الجديد.

ويلاحظ أن التناص ظاهرة واضحة بصفة خاصة في إبداع القرن العشرين الأدبي والواحد والعشرين[1]

** ومفهوم التناص قديم بالنسبة لبعض صوره . (من ذلك توظيف الأسطورة وأحداث التاريخ في الآداب عموما ، والمعارضة والتضمين والاقتباس في الشعر العربي منذ أقدم عصوره) .

** أما مصطلح التناص فهو مصطلح حديث عرفه النقد الأدبي حديثا .

---

(1) آن موريل : النقد الأدبي المعاصر (مناهج – اتجاهات – قضايا) ترجمة إبراهيم اولجيان ومحمد الزكراوي – الناشر : المركز القومي للترجمة – الطبعة الأولى ٢٠٠٨ ، ص ١٢١ ، ١٢٢.
وراجع أيضا في كل ما تقدم : د. إيمان الشماع - السرد في الشعر السكندري الحديث (دراسة تحليلية فنية) – دار اللوتس للطباعة – الطبعة الأولى ( ) ص ١٦٤ أو ما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** وقد قامت جوليا كريستيفا ورولان بارت في فرنسا بالتنظير لمفهوم التناص ووجدا أصله في أعمال الناقد الروسي ميخائيل باختين مؤلف " شعرية ديستوفسكي " الصادر في موسكو عام ١٩٦٣ ، وأعمال " فرانسوا رابلي " الصادر عام ١٩٦٥ . وفي المؤلفين برزت فكرة الشعرية التاريخية حيث اعتبر التاريخ والمجتمع نصوصا يقرأها المؤلف ويعيد كتابتها بطريقته الفنية ويخلق معها حوارا .

** وتؤكد الكتابات المشار إليها آنفا على أهمية التناص، فهو أساس في الأدب، باعتبار أن العمل الأدبي ليس عملا فرديا بحتا بأي حال ، وإنما هو وليد عناصر متنوعة من بينها الأعمال الأدبية السابقة . وكما اكتشف " باختين " فإن النص الأدبي منخرط في نص ثقافي عام يشمل الأعمال السابقة التي صارت لها دلالة لدى المتلقي[١] .

** ومن هنا يقول الدكتور جابر عصفور تأثرا بأفكار جوليا كرستيفا إن التناص تَحوُّلٌ من نسق إلى نسق آخر على نحو يستلزم منطوقا جديدا ، منطوقا تؤثر فيه العلاقة بين الأنساق، خصوصا ما تؤكده هذه العلاقة من هوية خلافية تتحدد بها دلالات النص الجديد في علاقته بغيره . وينبني هذا الفهم على ما ينفي وجود النص المغلق أو النص المكتمل بذاته المستقل تمام الاستقلال عن غيره ويستبدل به حضور النص المفتوح الذي هو مجرة من المعاني أو شبكة متصلة بشبكات لا نهائية من الشفرات[٢] . ومعنى هذا أن التناص عند الدكتور عصفور – كما سبق أن أوضحنا – هو علاقة التشكل المفتوح الذي يغدو به النص فسيفساء من الاقتباسات واستيعابا للنصوص الأخرى السابقة وتحويلاتها .

** ويقول الدكتور رمضان الصباغ إنه " رغم أن ميخائيل باختين لم يستخدم مصطلح التناص إلا أن هناك شبه إجماع من جانب الباحثين على إرجاع مفهوم المصطلح إليه . ومن الثابت أن جوليا كريستيفا هي أول من استخدم المصطلح وأطلقته في كتاباتها عام ١٩٦٦، ١٩٦٧[٣] وهو قول متعارف عليه بين النقاد الغربيين[٤] .

---

(1)آن موريل – المرجع السابق – ص ١١٩ ، ١٢٠.

(2) د. جابر عصفور – المرجع السابق - ص٢٩.

(3) د. رمضان الصباغ : في نقد الشعر العربي المعاصر – الناشر : دار الوفاء بالإسكندرية ، ط١ – الفصل الخامس: التناص ص ٣٧٧ وما بعدها .

(4) ويقول الدكتور عبد الناصر حسن إن استخدام كريستيفا لمصطلح التناص لأول مرة كان في عدة أبحاث لها صدرت في مجلتى tel quel , critique وأعيد نشرها في كتابيها semeiotke ونص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** ويمكن استخلاص تعريف التناص من خلال كتابات جوليا كريستيفا والنقاد الذين كتبوا في هذا الموضوع . كالقول بأن التناص هو فسيفساء من نصوص أخرى اندمجت في النص الجديد بتقنيات وأساليب مختلفة ، أو تحويل النص القديم أو شيئا منه بتكثيفه أو مده بقصد تعضيد دلالته أو مناقضته ، بحيث تكون الاقتباسات من النصوص السابقة منسجمة مع بناء النص الجديد ومقاصده . ويعني هذا أن التناص هو دخول نص جديد في علاقة مع نصوص سابقة باستخدام أساليب مختلفة سواء كان النص الجديد مؤيدا أو مناقضا .

** وهو فهم تأثر به وأيده إلى حد كبير الناقد الدكتور جابر عصفور على ما سلف البيان .

** ومع تفهمي لكتابات كريستيفا وجابر عصفور حول التناص فإنني لا اتفق معهما في القول بأن التناص هو فسيفساء من نصوص أخرى، وأخشى أن يكون هذا التعبير غير دقيق، فهو يعطي انطباعا بأن النص الجديد مقتبس من نصوص سابقة، وهذا غير صحيح بالنسبة للنصوص العظيمة التي لا تكون عظيمة إلا إذا انطوت على إبداع حقيقي ، ولا يقلل من شأن هذا الإبداع أن يكون متأثرا على نحو أو آخر بما استوعبه من تراث الإنسانية بصفة عامة[1] .

الرواية le texite du roman ويستطرد الدكتور عبد الناصر قائلا : إذا كانت كريستيفا أول من بلور مفهوم التناص في النقد الأدبي الحديث فإن المفهوم ما لبث أن تناوله بعدها عدد كبير من الكتاب بالإضافة والتعديل، بصورة اتسع معها أفق هذا المفهوم واتضحت معالمه (المرجع السابق ص ٢٩٣ ، ٢٩٤) .

(1) وفي هذا الرأي نتفق مع تصور الشاعر فؤاد طمان لمفهوم التناص { راجع مؤلفه: تجربتي الشعرية (المرجع السابق) ص٧٢ . } حيث يقول إن ما نسب لكريستيفا من أن كل نص يتشكل من قطعة موزاييك من النصوص الأخرى ، غير دقيق . لأن قولها هذا يعني أن كل نص عبارة عن مقتطفات من نصوص سابقة، وأن الشاعر الذي يتناص شعره مع النصوص الأخرى لا يأتي بجديد ، وهذا غير صحيح ولا يعنيه مصطلح التناص لا في نظرية كريستيفا ولا في النقد الغربي الغالب . فالتناص ليس نقلا كاملا من النصوص الأخرى ولا تقليدا لها ، ولكنه استيعاب وامتصاص للنصوص السابقة ، ثم إفراز نص آخر جديد يتضمن تحويلا جزئيا من نص أو نصوص أخرى، بغرض إثراء النص الجديد بمعان ودلالات ومشاعر وصور كانت قد خلفتها إبداعات أو أحداث سابقة، دون أن يُفقد هذا التناص النص الجديد جدته وتميزه . ويتضح ذلك من عبارة كريستيفا نفسها: " كل نص هو امتصاص لنصوص أخرى وتحويل عنها " . وإلا لجرد التناص العمل الأدبي الجديد من الإبداع ، لأن الإبداع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** ومن هنا أيضا يشير الدكتور عبد الناصر حسن إلى نشوء مفاهيم ومصطلحات حول التناص مثل القول بأن النص نص انعكاسي والقول بالتداخل النصي والاستدعاء النصي[١].

** ويبحث التناص في مظاهر وشروط انضواء النص موضوع الدراسة في السياق الثقافي العام، وأشكال استفادته من النصوص السابقة عليه (أو كيف استخدمت في داخله عناصر وخصائص من تلك النصوص) وما أنتجه النص الجديد من معنى أدبي نتيجة ذلك كله وما كسبته التجربة الجمالية من ابتكار الشاعر[٢] .

** ويرى عدد من النقاد أن التناص يعد قانونا جوهريا بالنسبة للشعر الحداثي . إذ أن الأشعار هي بمثابة نصوص تتم صياغتها أو إبداعها عبر امتصاص النصوص الأخرى. وأن الشعر العربي المعاصر يحفل بالتداخل النصي . ويمكن ملاحظة ذلك في نصوص بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور وخليل حاوي ومحمود درويش ومحمد عفيفي مطر وغيرهم[٣].

** والتناص بمفهومه الواسع تقنية ملحوظة فى بعض قصائد ثورة ٢٥ يناير، فنصوص عدد كبير من شعرائها تشير إلى رموز أو أحداث تاريخية تراثية أو تتناص وتتحاور مع نصوص ثمينة خالدة سابقة من التراث القديم ومن إبداعات العصر الحديث، فمنها ما ورد فى القرآن الكريم ومنها ما ورد في الشعر العربى والأعمال الخالدة فى التراث الإنساني .

** على سبيل المثال تناصت أعمال الشاعر فؤاد طمان مع فكرة " اللوح المكتوب " السائدة فى التراث العربى : فهو يقول مثلا في قصيدته " النذير " مخاطبا الثورة :

تعالَىْ أَبُحْ لكِ بالسرِّ:

الحقيقي هو الخلق على غير مثال وليس تقليد النصوص الأخرى . فبالتناص الخلاق نمتص النصوص السابقة - خاصة الخالدة منها - ونستفيد منها بتحويلها تحويلا فنيا لخلق نص جديد متفرد .

(1) د. عبد الناصر حسن – المرجع السابق – ص ٢٩٣.

(2) محمد باقر جاسم : التناص (المفهوم والآفاق) – مجلة الآداب اللبنانية – العددان ٧ ، ٩ (يوليو وسبتمبر ١٩٩٠) ص ٦٧.

(3) د. رمضان الصباغ – المرجع السابق ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ (حيث يستشهد أيضا بمقال لعبد الرحمن بسيسو منشور بمجلة فصول – المجلد ١٦ العدد ١ – ١٩٩٧ – الناشر : الهيئة العامة للكتاب) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنكِ منصورةٌ !!

هكذا جاء فى " اللوْحِ" !

لابد من أن تظلي هنا

فوق أكتاف من يعشقونكِ

سافرةً كالشموس ومنبئةً فى الدجى كالهلالْ!

.....

..... فظلى هنا في حِمَى

جيلكِ الفذِّ ..

من شَقِّ سِترَ المنونِ ،

لكى تعبرى أنتِ جسر المحالْ !(1)

** و" اللوح " المكتوب أو المحفوظ هو من تراث الأمة الموروث فهو يرمز للقَدَرِ الإنسانى، وما خُطَّ فيه هذا القدر المقدور المكتوب منذ قبل الحياة الإنسانية ، ليس لأن ما فيه هو قدر محدد شاءه الخالق للمخلوق وفرضه عليه، وإنما لأن علم الخالق وسعه وعرفه من قبل بدء الحياة. وتتراوح فكرة "اللوح" بعد هذا فى تفاصيلها بين المفهوم السابق ومفهوم هذا اللفظ كما ورد فى القرآن الكريم، وكذا الأساطير التى نسجت حول هذا اللفظ والمفاهيم الأخرى التى اختلفت بشأنه.

** " فالألواح " في القرآن الكريم وصف لصحائف كتبت فيها التوراة .

" وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة ، وتفصيلا لكل شئ "

(سورة الأعراف الآية ١٤٥ ، واللفظ فى الآيتين ١٥٠ ، ١٥٤ أيضا)

** واللوح المحفوظ هو السجل الذى ذكر فيه ما كان وما سيكون . وفى القرآن الكريم : "بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ " (سورة البروج (الآية ٢٢))

---

(1) فؤاد طمان – أشعار الثورة (المرجع السابق) ص٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** استخدم الشاعر إيهاب البشبيشى فكرة اللوح أيضا تناصا مع مفهومه فى التراث العربى فقال :

قولى لعين الشمس فى " التحريرِ "
زيدى هجيرك فوقنا بهجيرِ
كى يوقن الشهداء أنك شمسُهم
وبأنهم فى لوحكِ المسطور ..

** يريد الشاعر أن يقول إن الشمس التى سطعت فى ميدان التحرير مهما زاد هجيرها سوف تجعل الشهداء يوقنون أنها شمسهم هم وبأنهم باقون فى لوح الخلود الخاص بالوطن [١].

** ويستخدم الشاعر محمد فريد أبو سعدة تقنية التناص في قصيدته الطويلة الحداثية البديعة: " أنا صرت غيري "[٢] . فيتناص فيها مع قصيدة أمل دنقل الشهيرة: "سفر الخروج " (أغنية الكعكة الحجرية) ، وهي القصيدة التي عبرت عن انتفاضة الشباب وبصفة خاصة طلاب الجامعات في عهد السادات، الذين رفضوا الهزيمة وخرجوا في ثورة عارمة يدينون التقاعس عن حرب التحرير. وهي القصيدة التي يقول فيها أمل :

أيها الواقفون على حافة المذبحةْ
أشهروا الأسلحةْ
هبط الموت .. وانفرط القلب كالمسبحةْ ..
والدمُ انسابَ فوق الوشاحْ !
المنازل أضرحةٌ .. والمدى أضرحةْ ..
فارفعوا الأسلحةْ
واتبعوني ..

---

(1) إيهاب الشبيشي : قصيدة مخطوطة مهداه من الشاعر – تحت يد الباحثة ، ألقيت في بيت الشعر المصري إبريل ٢٠١٢ ضمن فعاليات مهرجان ربيع الشعراء .

(2) محمد فريد أبو سعدة : المرجع السابق ص٧ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنا ندم الأمس والبارحةْ

رايتي عظمتان وجمجةٌ .. وشعاري الصباحْ ![1]

** ففي القصيدة يدين أمل قمع الجنود للشباب الوطني الثائر .. فيقارن أبو سعدة تلك الأحداث بأحداث ثورة يناير التي حاول فيها النظام المتهاوي قمع الثوار بإطلاق الرصاص عليهم وباعتقالهم . يقول :

هو النهرُ يشكو

صرختُ: انتظرني

(فلملم أوراقه ثم قامَ)

إلى أينَ ؟

ظلك في الماء أحمرُ

ظلك فوق المدينة كالغيم أخضرُ

قل لي إلى أين تخرج يا وطنَ الفقراءِ ؟!

إلى الكعكة الحجرية

ممتلئا بالجموعِ ؟!

ويا نهرُ حَمِّلني الفقراء مفاتيح وقتي

وخارطة المدن المقبلةْ

فإن كنتِ نائمةً يا فتاتي دعيني أهزكِ

إسفلت هذى البلاد طلاءٌ

على قشرة القنبلةْ !

** وفي مقطع آخر من ذات القصيدة يتناص أبو سعدة مرة أخرى مع قصيدة أمل " أغنية الكعكة الحجرية " ، فيصف متابعته لمظاهرات الثوار في يناير ٢٠١١ وهو على فراش المرض :

---

(1) أمل دنقل : الأعمال الشعرية الكاملة – المرجع السابق – ص٣٢١- وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقلتُ : أنا كنت تحت المخدرِ

أهفو إليكِ

تخايلني صورةُ القانصينَ فأسرعُ

حتى أزيحَكِ قبل وصول الرصاصةِ

آهِ

هنا كانت " الكعكة الحجريةُ "

يا أخت روحي

هنا كانت المذبحةْ !

** ويستطرد أبو سعدة في المقطع التالي وهو يتذكر مظاهرات " الكعكة الحجرية " وقمـــع الجنود لها وكيف أن التاريخ يعيد نفسه والطغاة يحاولون قمع مظاهرات ثورة يناير :

هنا من ثلاثين عاما وأكثرَ

كان هنا فوق هذا النجيل دمٌ وأغانِ

هنا كان يعبر فوق السياج دمٌ

وهتافات كُفْرٍ بهذا الزمانِ

هنا انفتحت فُوَّهاتُ الجحيمِ

هنا انفتحت فوهات الخراطيمِ

أغرقت اللائذينَ

من النار والماءِ بالكعكة الحجريةِ

كانوا هنا في الهزيع الأخيرِ

ولون الهواء أكاسيد من فضةٍ ودخانِ

وهم متعبونَ

ويلتصقون كسرب من البطِّ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستدفئون بأنفاسهم

بينما كان فجر وليدٌ

يحاول ما لم يكن ممكنا !

كان فجرا تدوس عليه الجنازيرُ .... إلخ

** وتتناص أيضا قصيدة أبي سعدة مع وقائع التاريخ .. فالطغاة الذي يجابهم الثوار في يناير من وجهة نظر الشاعر يشبهون المماليك في زمن استبدادهم وفسادهم وقسوتهم حيث استعاروا آلات وصورة التتار الهمج القتلة :

يعود المماليكُ .. أسمع في الليل وقع خيولهمُ التتريةِ ..

هل أنتِ يقظى ؟

فإن كنت نائمة فدعيني

لأقرأَ ما كتب النهرُ فوق الصحاف المعشَّبةِ

النهر يشكو .. يعود المماليكُ فانتبهي ..

واكتري السيف للعائدينْ ..

** وهكذا أدى التناص دوره بنجاح تام في قصيدة محمد فريد أبو سعدة فقد كثف المعنى وأشعل المشاعرْ .

** وجدير بالذكر أن التناص القرآني والتاريخي والأدبي هو ظاهرة في قصائد الثورة التي كتبها أحمد عبد المعطي حجازي تناصًا مع أبيات أبي القاسم الشابي الخالدة : إذا الشعب يوما أراد الحياة ...إلخ وأحمد عنتر مصطفى تناصًا مع الآية القرآنية : " فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض (آية ١٧ سورة الرعد) وتناصًا مع الآية القرآنية : " تبت يدا أبي لهب وتَبّ ْ " (آية ١ سورة المسد) وتناصًا مع ما ورد في القرآن الكريم حول الصُّور والقيامة. وعلي الباز تناصًا مع قصة مملكة سبأ. ومحمد إبراهيم أبو سنة تناصًا مع ما ورد في القرآن الكريم حول القيامة والبعث وإعلانهما بالنفخ في الصور . وأحمد تيمور تناصًا مع أحداث التاريخ وتوظيفا لشخصيات التراث القديم والحديث : تحتمس وحورس وأحمس وجمال عبد الناصر وعبد المنعم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رياض وعرابي وسعد زغلول وطلعت حرب وسيد درويش . وحسن فتح الباب تناصًا مع شعر التراث ، ومع التراث التاريخي الإسلامي[1].

** أما قصيدة " النذير " للشاعر فؤاد طمان فهي لوحة غنية بفسيفساء من نصوص الأدب العالمي ومن إشارات تراثية وتاريخية عربية وإنسانية جعلتها نموذجا لاستخدام تقنية التناص في خلق نص متميز جديد .

** ففي هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن " قيصر " الحاكم المستبد ، ويرمز به لرأس النظام المتهاوي .. ويشير إلى جيفارا البطل الثوري الأشهر باعتباره ملهما للثوار بشجاعته وإخلاصه للمستضعفين وثورته من أجلهم ، ويشير إلى " بلال " كرمز لصاحب العقيدة الصحيحة الثابت على المبدأ حتى لو تعرض للعذاب والموت ، ويشير إلى زرقاء اليمامة بعد أن حولها لتكون زرقاء مصر التي ترى ما لا يراه الآخرون وتحذرهم من الخطر الخفي القادم ويشير إلى مسيلمة الكذاب مدعي النبوة كرمز للمضلِّلين الذين أرادوا خداع الثوار .

** وفيما يلي أبيات متفرقة من القصيدة اكتسبت جمالها وتأثيرها من وهج الانفعال الصادق وتقنية التناص في أزهى صورها ... يخاطب الشاعر الثورة قائلا :

قفي بين أبنائنا ..
بين من حملوك إلى ساحة الخُلْدِ
عبر الأناشيدِ ،
من أول الفجرِ
من أول الدم والنارِ ،
واخترقتهم رصاصاتُ " قيصرَ " ؛ كي لا تموتي
وكي تعبري أنتِ جسرَ المُحالْ !
وكان " جفارا " – الذي يهبط الأرض في كل عامٍ

(1) راجع تلك القصائد جميعا في مؤلف الباحثة " شعر ٢٥ يناير ٢٠١١- دراسة تحليلية " الطبعة الأولى ٢٠١٦- مطبعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلّوح عبر الأثير لهم من بعيدٍ

وكان يؤذن فيهم بلالْ ..

..... وجاءوكِ بعد فرار الطواغيتِ ،

بالورد والغارِ ..

والشهداءِ ، يداوون جُرحَكِ ثم يعودون للمنتهى ..

بينما أنتِ من خلفهمْ ،

تصعدين الثنايا مودّعةً بدموعك ركبَ الجلالْ ..

.....

** ثم ينبه الشاعر الثوار إلى الدخلاء والمندسين والخونة الذين يشكلون الخطر على الثورة، ويتخفون حتى يفاجئوها وينقضوا عليها :

ولست أحذر من جند " قيصرَ "

مثلُكِ أَدْرَى بهمْ !

بل أحذر من ناقضي عهدِكِ الدُّخلاءِ !

تقول لك الآن " زرقاءُ مصرَ " :

الشجيرات تمشي الهويني إليكِ ..

الشجيرات قادمةٌ من وراء التلالْ !

.....

تعالىْ إلى خيمتي في الحديقةِ ،

إن سكنَ الليلُ ،

حتى أُسِرَّ إليك بما قاله

في النهارِ " مُسَيْلَمةٌ ..

أنتِ مُتْعَبَةٌ .. وأنا متَعَبٌ ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنتِ عطشانةٌ وأنا جائعٌ ..

أنتِ حالمةٌ وأنا خائفٌ..

فتعالَىْ لكي نستريح قليلاً ..

ونقتسم الحزن والحُلمَ والبرتقالْ ..

** ويختتم فؤاد طمان قصيدته بالإشارة إلى الشاعر العالمي المناضل بابلو نيرودا ويتناص مع قصيدتيه المشهورتين : " إلى التفاحة " و " المحررون " وهما من قصائد الثورة والحرية والنضال في الأدب العالمي .. في إشارة إلى تسلل فلول النظام والرجعية إلى ميادين الثورة ومناصبتهم العداء للثوار الحقيقيين :

تعالَىْ لكي نستريحَ قليلا على صفحة النيلِ ..

ثم نمرَّ بخيمتهم فنرى من بعيدٍ

" نِرُودا " .. وقد قيدوه – وشمسُك طالعةٌ – بالحبالْ ..

وكان يغازل تفاحةً

ويقول لها في العراءِ : أجيبي حبيبَكِ :

من قَدَّكِ الآن من جنة الله ، فاتنةً ،

يتفجر خدك بالفجر عبر الظلامِ ..

وينثر فوق الورود اللآلْ ..

** ففي هذا المقطع تناص وتضمين بتصرف من قصيدة " نِيرُودا " : " إلى التفاحة " من ديوان عشرين قصيدة حب وفيها يقول نيرودا :

أيتها التفاحة .. أريد أن أحتفل بكِ ..

من قدّك من الفردوس .. نقيةً .. خدًّا يتفجر بالفجر .. إلخ

** ويستطرد طمان في حديثه عن نيرودا الذي بدا له أسيرا في ميادين ثورتنا :

وكان يصدُّ الجنودَ ..

ويحمي الغصون التي سمقت فجأةً حولنا ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمقت فوق كل المروجِ وفوق الجبالْ ..

ويناجي أشعتها الذهبيةَ

يسلبه سحرُها لُبَّهُ ..

فيعبِّئُ تفاحَها .. ويغني لها ..

ويجود علينا بما في السلالْ !

** وفي هذا المقطع الأخير تناص وتضمين بتصرف من قصيدة نيرودا الشهيرة "المحـــررون " وفيها يقول :

هذه هي الشجرة

شجرة الشعب

شجرة جميع الشعوب

شجرة الحرية

ثمارها النابضة تنشر كل يوم نورَها

خذ خبزك وتفاحتك

خذ قلبك وحصانك

وانطلق لحراسة الحدود

وحراسة أوراقها في كل مكان

** ومسك الختام في إبراز ظاهرة التناص في شعر الثورة ، هو ما تـــضمنته دراســـة الناقـــد الدكتور صابر عبد الدايم " إبداع الثورة وتشكيل جماليات المكان والإنسان"(١) حيـــث توقـــف الناقد أمام تجربة إبداعية للشاعر الدكتور أحمد تيمور تمثلها قصيدة الأخير "ولما كان مساء الخامس والعشرين " . يقول أستاذنا الناقد إن القصيدة تضمنت سردا شعريا يبوح به عنـــوان التجربـــة ، يقدمه الشاعر من خلال استحضار مشاهد التاريخ واستدعاء رموزه التي تجـــسد بطولـــة مـــصر ومسيرتها الماجدة منذ فجر التاريخ. وجماليات المكان والإنسان والزمان تمثل مثلث القاعدة النضالية

(1) دراسة منشورة بمجلة الهلال (عدد أكتوبر ٢٠١١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي قادت الثوار إلى ميدان التحرير وكل ميادين مصر . فالثورة ليست بنت اللحظة ولكنها تتناص وتتناسل وتتكون في رحم مصر الأكبر ، وتتشكل منذ إشراقة الحضارة المصرية في العالم كله قبل آلاف السنين . ويقول أستاذنا الناقد : لنتأمل كيف استوحى الشاعر (تيمور) جماليات الإنسان والزمان من إشراقات المكان ، ومن أصوات الأجداد في المتحف القومي . يقول الشاعر في مفتتح القصيدة :

يا هذا القادم في الخامس والعشرين لشهر ينايرْ ..
دعني أتفَرَّسُ فيكَ قليلاً ..
لك وجه تحتمس تحت قناع الحجرِ
ووثبة حورسَ من أيقونته فوق غصون الشجرِ
ووقفة أحمسَ وهو على عربته الحربية طائرْ "

** ففي هذا المقطع يتجلى ما لاحظه أستاذنا الناقد من استخدام الشاعر تيمور تقنية التناص وذلك بتوظيفه شخصيات رموز الحضارة الفرعونية الأبطال مثل تحتمس الفاتح وأحمس طارد الهكسوس.

** ثم ينبهنا أستاذنا الناقد . إلى أن لوحة تيمور السردية " يتكئ في تشكيلها على توظيف النصوص التاريخية في العصر الحديث حيث يبرز التناص مع صيحة الزعيم المصري أحمد عرابي : " لقد خلقنا الله أحرارا ولن نستعبد بعد اليوم " . ويستدعي في ظل هذا التناص شخصية الزعماء الأحرار مثل عبد الناصر وسعد زغلول وطلعت حرب وعبد المنعم رياض ، وبطولات حرب العاشر من رمضان ، وأغاني سيد درويش . يقول د. أحمد تيمور مخاطبا كل شاب ثائر :

لك شفتا سيد درويش وهو يصوغ لسعد غنوتَهُ ..
والبلح الزغلول على قمم النخل يصير منائرْ ..
وعَرَقُ جبين عرابي النافرْ ..
وهو يقول " ولدنا أحرارا بين الناس ولن نستعبد بعد اليوم "
ولن يتوارثنا مملوك بالمقعد في القلعة ظافرْ ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لك هامة جيش عبور السادس من أكتوبرْ

..... لك عينا عبد الناصرْ

لك طلعة " طلعت حرب " الآتي من شارعه وهو مجاورْ

لك إطلالة عبد المنعم بين رياض الجنة

وجنينات التحرير المزروعة بشجيرات الأمل الزاهرْ "

** وهكذا جاءت قصيدة الشاعر أحمد تيمور ممثلة كل التمثيل لتقنيـــة التنـــاص في شـــعر الثورة، خاصة من خلال توظيف الأحداث والشخصيات التاريخية .

** وجدير بالذكر أن القصائد التي حفلت بالتناص التي أوردناها هنا ليـــست هـــي كـــل القصائد التي تبرهن على الظاهرة على سبيل الحصر وإنما سقناها على سبيل المثال ، فقد زخر شعر الثورة بقصائد تتجلى فيها هذه الظاهرة مثل قصائد احمد عبد المعطي حجازي وأحمد عنتر مصطفى وفؤاد طمان وإيهاب البشبيشي وصلاح اللقاني وفاروق شوشة ومحمد إبراهيم أبو سنة ومحمد فريد أبو سعدة وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني

تفاوت المستوى الفنى لقصائد الثورة

** يضم هذا البحث قصائد لمعظم شعراء مصر الذين كتبوا عن ثورة ٢٥ ينـــاير ونـــشروا أشعارهم فى مجموعات شعرية أو فى الصحف والدوريات المعروفة . وقد لاحظنا التفاوت الـــشديد فى المستوى الفنى لهذه القصائد . فبينما بلغ القليل منها ذروة التعبير الشعرى والفن الرفيـــع نجـــد معظم القصائد قد شابتها العيوب ، منها أخطاء فى اللغة وخروج على ضوابط موســـيقى الـــشعر وعلم العروض ، وقدر عال من التقريرية والمباشرة ، فى حين أن اللغة هى أداة الشاعر ، والموسيقى والمجاز والتصوير هى أجنحة الشعر التى لا يحلق بدونها . ناهيك عن عدم إحكـــام المعـــنى أحيانـــا وركاكة الأسلوب أحيانا أخرى .

** ويرى بعض النقاد أن ذلك كله ناتج عن التسرع والحماس الزائد اللذين يصاحبان عادة شعر الثورات والأحداث المفاجئة الكبرى ، والحاجة إلى شعارات وهتافات عالية وســـريعة تجعـــل القصائد أقرب إلى المنشورات الثورية العابرة منها إلى الإبداع المتأنى المتأمل المفعم بالعاطفة وبالصور الشعرية والمجازات المدروسة والموسيقى المحكمة . وأيًّا ما كان الأمر فان النقد يجب أن يكون كاشفا عن مقتضيات الفن في النصوص وجودا وعدما ، ومتمسكا بضوابط اللغـــة والموســـيقى والمجـــاز والتصوير وروح الشعر ، ومن هنا أحاول أن أبدى ملاحظاتى النقدية الوجيزة فى هذا البحث .

** ولكننى أمهد لذلك بعرض الملاحظات القيمة التي أبداها الناقد شريف رزق عن شـــعر الثورة[1] والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي :

أولا: معظم الاستجابات الشعرية لثورة ٢٥ يناير جاءت – بـــدرجات متفاوتـــة – اســـتجابات عاطفية حماسية سريعة يتغلب فيها التأريخي على الجَمالي . (وهو ما سبق أن لـــوحظ علـــى شعر ثورة يوليو ١٩٥٢ عند قيامها ، والشعر المواكب للعدوان الثلاثي على مـــصر عـــام ١٩٥٦ ، ثم شعر حرب أكتوبر ١٩٧٣. وهو ما حدث أيضا في شعر كثير تبـــارى فيـــه شعراء عرب تمجيدا لقادسية صدّام حسين وملحمة الفاو) .

---

(1) شريف رزق : شعر الثورة وثورة الشعر : مقال منشور في مجلة الثقافة الجديدة الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة – العدد ٢٧٤ (يوليو ٢٠١٣) ص ١٥ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: ظهرت في معظم شعر الثورة العيوب الشعرية العربية المزمنة (التي كانت الشعرية المصرية والعربية في حالاتها المتطورة الجديدة قد تخلصت منها ثم عادت لتظهر في شعر الثورة) ومن أبرز هذه العيوب : الخطابية والتقريرية والمباشرة والنثرية ، وذلك على نحو بدا معه هذا الشعر وقد رسف في أغلاله القديمة بل إن بعضه يبشر بسلفية شعرية واضحة تتبدى في المحاور الآتية:

أ- عودة الهجاء السياسي التقليدي المباشر.

ب- الاستسلام لمنولوجات غنائية تقريرية معادة .

ج- طغيان النثرية البحتة والتقريرية على الخطاب الشعري .

د- الاكتفاء بالغناء الأناشيدي التطريبي الهزيل الأقرب إلى النظم منه إلى الشعر .

هـ- الغناء الذي يتعالى فيه الخطاب السياسي الدعائي الزاعق على الخطاب الشعري الفني.

و- ندرة النماذج الشعرية التي حملت تجربة الثورة داخل خطابها الشعري الجديد ، سواء ببث الدلالات أو باعتماد آليات الشعرية الجديدة كالصور الحية (السردية والبصرية والمجازية المتتابعة التي تصل إلى تمام الدلالة).

ز- التسرع في مواكبة الحدث الثوري وعدم التمعن فيه .

ح- إنحياز معظم النصوص إلى آليات متكررة تقليدية لا تقدم تجارب مهمة شعريا.

** ويقيم الناقد الدكتور صابر عبد الدايم شعر الثورة فيقول : " حينما نتأمل الإبداع الذي واكب الثورة .. ورصد مشاهدها وأحداثها .. نجد فيضا غزيرا من القصائد الشعرية .. وقد تنافست الصحف في نشر هذه الإبداعات .. وبعض الشعراء شاركوا في تصاعد فعاليات الثورة وأثروا في جماهير الشباب الثائر ومنهم الشاعران هشام الجخ وعبد الرحمن يوسف . ولكن الشعر في مجمله جاء زاعقا وخطابا مباشرا لم يتعمق التجربة ، ولم يتأمل المشهد الثوري تأملا جماليا فنيا .. فإذا بالقصائد أصداء لطلقات الرصاص المطاطي ، وهي أشبه بصيحات الاحتجاج وصرخات المصابين .. إنها ثرية في صدقها وعفويتها .. ولكنها فقيرة في جمالياتها ودلالاتها ورؤاها وفرادتها[1].

(1) أ.د صابر عبد الدايم – إبداع الثورة وتشكيل جماليات المكان والإنسان (دراسة منشورة بمجلة الهلال – عدد أكتوبر (٢٠١١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** وقد أيد هذا الرأي كبار الشعراء والنقاد الذين استطلعت آراءهم ومنهم فاروق شوشة وفؤاد طمان ود. حسن طلب والدكتور محمد عبد المطلب .

** فعلى سبيل المثال : في حوار منشور مع الشاعر الدكتور حسن طلب قال إن غالبية شعر الثورة لن يبقى ، وقال تفسيرا لذلك " المسألة هي كيف تكون الكتابة عن الميدان حقيقية ".

** ومن جانبي أرى أن شعر الثورة انقسم إلى نوعين :

أولا : نماذج جيدة:

** قصائد للشعراء أحمد عبد المعطى حجازى وصابر عبد الدايم وفؤاد طمان وفاروق جويدة وفوزي عيسى وأحمد عنتر مصطفى ومحمد فريد أبو سعدة وايهاب البشبيشى وفاروق شوشة ومحمد إبراهيم أبو سنة .. وهى أيضا تتفاوت فيما بينها فى المستوى الفنى، فبعضها بلغ ذروة الفن الرفيع ، والبعض الآخر لم يبلغ الذروة ولكنه حاز أدوات الشاعر المتمكن من لغة وموسيقى ومجاز وعبر تعبيرا صادقا عن الثورة .

ثانيا: نماذج خلت من قوة العاطفة والانفعال وماء الشعر وإشراق الديباجة وإحكام المعنى ومن الصور الشعرية والمجاز أو شابتها بعض العيوب اللغوية ، والعروضية (المؤثرة في موسيقى الشعر) :

** وهذه النماذج كثيرة بل هى الغالبة فى شعر الثورة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

نماذج جيدة من شعر الثورة

فيما يلي نعرض لبعض النماذج المتميزة من شعر الثورة ذات المستوى الفني الرفيع :

** تأتي قصيدة الشاعر محمد فريد أبو سعدة " أنا صرت غيري " في مقدمة قصائد الثـــورة، وهي قصيدة متقنة زاخرة بكل عناصر الشعر الجيد من قوة الشعور وحـــسن الـــصياغة وإشـــراق الديباجة وطزاجة الصور الشعرية ودلالة المجازات والرموز الموحية والاستعانة بآليـــات القـــصيدة الجديدة مثل تقنية التناص . في لغة صحيحة صافية وموسيقى رائعة يؤدي فيهما الـــوزن والقافيـــة دورهما المرسوم . يقول الشاعر :

المدينة تغرق في دمعتي وتصيحْ
أيها الموت هيَّا
إننا نتهيّا ..
خضْ بنا في الزلازلِ
وادخل بنا الملكوت الفسيحْ

** ويصف الشاعر اصطدام الثوار بقوى أمن النظام السابق وسقوط الشهداء والجرحى من الثوار:

" يمر الرصاص مضيئا بأقواسه في الظلامْ ..
كأن السماءَ معبَّأةٌ بالجحيمِ ..
ويمطر نارا على الحالمينْ ..
فيحترقونْ ..

** ثم يتناول الشاعر ما عرف إعلاميا بموقعة الجمل، ومداهمة المأجورين من أعوان النظـــام المتهاوي للمتظاهرين الثوار في ميدان التحرير، بالخيول والجمال والبغال، حاملين الأسلحة البدائية من سيوف وبلط وسياط وعصى، في مشهد هجمي أعده أعداء الثورة، وذلـــك في نهـــار الأربعـــاء الموافق الثاني من فبراير عام ٢٠١١. يقول الشاعر :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هنا كان رهط من الراكبين جِمالاً

وأحصنةً وبغالاً

يخبّون وسط الجموعِ

فيسقط من ناله السَيفُ

أو ضربة البلطة السابحةْ ..

هنا كان رهط من الحالمينَ

تكوّم تحت الحوافرِ ..

كانت هنا مذبحةْ !

** وأما الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى فقد كتب ثلاث قصائد واكب بها أحداث الثورة، من بينها قصيدته " عودة الروح "، التي اعتبر فيها الثورة هي بمثابة عودة الروح لمصر وعودة مصر لأبنائها بعد أن طهرتها دماؤهم الزكية ، وقد جاءت القصيدة كما عَوَّدَنا حجازي محكمة المعاني والصياغة بأسلوبه المعروف بالجدة ، وإشراق الديباجة وطريقته المعروفة في التقفية :

إنها عودة الرُّوحِ !

عودة مصر إلى نفسها

عودة الجزء للكلِّ

والفعل للقولِ

والملكوت لأصحابه الفقراءْ

بعد أن دنسته اللصوصُ

يعود وقد طهرته الدماءْ !

** ثم يقول إن البلاد لم تكن إلا سجنا كبيرا حتى اندلعت الثورة فرفرفت عليها رايات العزة والكرامة وأصبحت جنة حرة وفضاء واسعا للحرية :

إن سبعين قرنا تطل عليكمْ ،

وأنتم بقلب المدينةِ ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل أنتمو قلبها النابض الآنَ

أنتم مدينتكمْ !

هذه القاهرةْ

لم تكن غير سجنٍ ،

وها هى ساحاتها وشوارعها العامرةْ

جنةٌ حرةٌ ،

ومدى ، وفضاءْ !

** ويبدع الشاعر الدكتور صابر عبد الدايم قصيدته العصماء " إلى شباب ثورة التحريـــر"، لتاتي تعبيرا صادقا عن فرحته بانتفاضة الشعب وتحطيم حواجز الخوف وعـــودة الحـــق إلى نـــصابه ومصر إلى أبواب النهضة والمجد، بفضل شبابها الشجاع الذي خرج ليفتديها ويعلـــي راياتهـــا .. في صياغة عربية جزلة محكمة وموسيقى تتضافر مع صدق الانفعال، بما يخلق في النهاية نصا معبرا على مستوى فني رفيع .. يقول :

حَطَّمتُ خوفى وبوابات سجانى ... فالكون ميدان تحريرى وعنوانى

ومصر عادت شبابا فى توهجها ... تموج بالحق من خيل وفرسان

ومصر عادت وعادت شمسُها شُهُبا ... تمحو الشياطين من إنس ومن جان

ومصر عادت وعادت شمسُها ذَهَبا ... شبابها الورد من رَوْحٍ وريحان

** ويقدم الشاعر الدكتور فوزي عيسى نصا رفيع المستوى يواكب أحداث الثورة بقلـــب مفعم بالحماس والإحساس وبصور شعرية أنيقة زاخرة بالجمال وحسن العبارة:

يا أيها الثوارُ ..

يا طَرْحَ السنابلِ

يا عقودَ الفُلِّ

يا نَفْحَ الشذى والياسمينْ :

لم نمتلك يوما شجاعتكم ، فأنتم لؤلؤ الزمن الفريدْ ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لستم صغارا أنتمُ آباؤنا !

منكم تعلمنا الجسارةَ ..

والكرامةَ .. والصمودْ !

** وفي صياغة صافية رقيقة وصور شعرية أنيقة يبدي الشاعر إعجابه بالشباب الثائر الـــذي تحول من الوداعة إلى الثورة الغاضبة التي حطمت سجون النظام القديم :

من عَلَّمَ الوردَ الوديعَ

بأن يثورَ ويذبح الأيدي التي

قطفته في صبح حزينْ؟!

من علم العصفور أن ينقضَّ منتفضًا

ويَحْطِمَ قبضةَ القفصِ اللعينْ ؟!

** ويكتب الشاعر إيهاب البشبيشي قصيدته الهادرة مخاطبا ثورة التحرير في صياغة عربيـــة فخمة .. تتسم بالجزالة والبساطة في آن .. فرغم اتكائها على لغة فصيحة بليغة فهي تستعين بلغـــة الحياة اليومية الطازجة التي تعرف سبيلها إلى الوجدان وتزخر بالموسيقى المؤثرة والصور الموحية .

** يعبر الشاعر عن مفاجأة اندلاع الثورة وصمودها وتفجرها بالنور وقد طهرتهـــا دمـــاء الشهداء :

كم ألف حملٍ كاذبٍ ، كم ألف فجرٍ

خادعٍ ، كم ألف شمسٍ زُورِ !

حتى إذا غدت الجهاتُ عواصفا

والوقت رهن ترقب ونشور

وغدت مواقيت الزمان جميعها

فجرا يخايل عين كل ضمير

أشرقتِ أنتِ من الضمائرِ فجأةً

وأذبتِ نورَك فى الدم المهدور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** كذا يعبر الشاعر إيهاب البشبيشي عن فرحته العارمة بالثورة فيهتف بمشاعر الحب التي تدفقت دافئة في برد يناير وفبراير القارص الذي اندلعت الثورة خلالهما :

وهتفتُ تحت الشمسِ فى التحريرِ
عودى الأحبة يا سعاد وزورى
طلى على قلبى الصغيرِ .. وشقرى
فى كل بردٍ مرتينِ ، وسيرى

** ويصطحب الشاعر الثورة الفتيَّة معانقا رفاقه وأحبته في كل مكان في مصر .. في البيوت والمزارع والمصانع .. في إشارة إلى أن الثورة هي ثورة جموع المصريين كلهم من سكان المدينة والريف .. من الفلاحين والعمال والمثقفين .. يقول بلغة طازجة متميزة ، امتزجت فيها اللغة التراثية بلغة الشعب اليومية الحية . يقول مخاطبا الثورة :

طوفى على كل الديار وحوِّدى
باللهِ صوْبَ أحبتى وبدورى
فى كل مندرةٍ ، وشرفة منزلٍ
فى كل مصطبةٍ وكل حصيرِ
عدِّى على الزُّرَّاع بين حقولهم
لتخضرِى لون الحياةِ البورِ
فُوتى على الصُّنَّاعِ .. صبى الشايَ من
عرقِ الجبين السائل المقطورِ

** وتمتزج روح الشاعر بالحرية ذاتها وتنساب مع الثوار تلبي نداءها ونداءهم وتلوذ بالنور الذي يجتاحُ الظلامَ ويكشف المستور .. يقول :

إسمى الأَجلُّ إذا به نوديتُ : يا
حرِّيتى ؛ لبيتُ كل جَسورِ !
رَتبتُ أمشاجى فأعليتُ النهى
والنور عندى كاشفُ المستورِ !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** وأما الشاعر أحمد عنتر مصطفى فقد أصدر ديوانا متميزا ضَمَّنَهُ عدة قصائد عن الثورة.. من أفضلها قصيدته المتقنة " وداعا أيتها الثورة " التي تتميز بصياغتها المحكمة ولغتها الصافية وموسيقاها العارمة المعبرة، فيستهل القصيدة بوصف ميدان التحرير والثوار يملأونه هادرين قادمين من عصر القهر المتهاوي، وغضبهم يفتح صفحة جديدة من تاريخ الوطن .

في ساحة التحرير تشتجر الروافدُ ..
والسواعدُ ..
قادماتٍ من تخوم القهرِ ،
تهدر نارها نحو المصبْ ..
تَبَّتْ يدا الباغي وتَبّ ! ..
هذا هو البركانُ يقذف ما تأجج في خلاياهُ ..
يضخ الآن من أعماقه جمر الغضبْ ..

** ثم يعبر الشاعر عن صدمته إزاء اشتعال الخلاف ومحاولات سرقة الثورة أو الانقضاض عليها من جانب أعدائها واندساس الغوغاء الجهلاء والدخلاء والحرس القديم في صفوف الميدان :

حتى إذا لَجّت بهم سبل الخصومةِ ؛
حيثما احتدم الجدالْ ..
وطغى على همس العقولِ
أزيزُ نيران الصخبْ ؛
وثب الطَّغامُ ،
بصحبة الحرس القديمِ ..
وكلُّ من نكروا البشارة والوليدَ
تهيأوا كي يَدَّعُوهُ
ويقتنوا شرف النَّسَبْ !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** وعندما تتفشى الفوضى والعنف ويتسلل إلى ساحة الثورة الدخلاء والرعـــاع والقتلـــة والخارجون على القانون وفلول النظام القديم والانتهازيون يصرخ الشاعر مستنكرا ومحذرا :

وطن تجسد في هشيمْ !

وهناك في أفق السماءِ

أرى سحائبَ من لهبْ ..

لكأنها نُذُرُ القيامةِ ..

مصر موعدُها :

وهذا صورها يَدْوِي ..

وها هو نهرُ نيلٍ من حميمْ !

هجر الوداعةَ .. شاطئاهُ توهَّجا ..

وامتد فوقهما الجحيمْ ..

** ثم ينظر إلى الساحة وقد تسلل إليها السفلة والغوغاء الذين أســـاءوا لمـــصر والثـــورة واندسوا بين الثوار الشرفاء :

هل هؤلاء هم الذينْ

خرجت لهم مصرٌ تلوِّح بالزغاريد السعيدةْ

سحقا لأبناء الأفاعي ..

دنسوا طهر الشهادة والفداءْ !

هتكوا عفافَ عروسِ مصرَ ..

وأزهقوا في الروح أنبل ما بها من كبرياءْ ..

هل هذه مصرٌ أم الهرم الحُطامْ ؟

ما إن أطاحت بالمماليك الشراذم عُنوةً

حتى تناسل من فلولهم الرعاعْ ..

هل هذه مصر المروءةِ والمحبةِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسماحة والوئامْ

أم هذه مصر الحِمامْ!

** وأما الشاعر فؤاد طمان فقد جمع القصائد التي كتبها في هذه المرحلة التاريخية في ديوان " أشعار الثورة " . وقد ضم الديوان قصائد رفيعة المستوى . إلا أننا نرى أن درة قصائد هذا الديوان هي قصيدته " النذير " ، بمعانيها الدقيقة، ولغتها الصافية البليغة، وموسيقاها الموحية، وما انطوت عليه من قوة الشعور والانفعال، والصور الشعرية والرموز والمجازات التي تثري الدلالات والتي برع الشاعر في إبداعها، مستعينا بمعجم شعري ثري.

** يستهل الشاعر قصيدته بمقطع يخاطب فيه الثورة وقد جسدها في صورة معشوقة وصور نفسه خفيا تحت قناعه حتى لا يراهما أعداؤها معا وظهرها عار معرض للطعن عندما يحتدم القتال .. وهو يتخفى كي لا تلاحقه بنادق الأعداء في ساحة الثورة حيث يشتعل الخطر ويستحيل الأمان :

أنا من عرفتِ !

فتاكِ المتيّمُ !

لكنَّ لابد لى من قناعٍ ،

لكى لا يرانا اللئامُ معًا،

ثم يخفون عنّىَ ما في الصدورِ ،

وظهرُكِ لما يزل عاريا فى احتدام القتالْ !

.....

أجيئكِ مستترا فى اشتعال الزوالْ

لكى لا تلاحقنى فُوَّهاتُ البنادقِ ..

كي لا تلاحقني طَعَناتُ الخناجر في الظَّهْرِ ،

فى ساحة الموت والبعثِ ،

حيث الأمانُ – كعنقاءَ – صعبُ المنالْ ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** ثم يخاطب الشاعر المعشوقة (الثورة) فيقول إنه جاءها في الموعد الذي ضربه الـــشباب (الثوار) وهو الموعد الذي لم يصدقه لأنه انتظر الثورة السنين الطوال فلم تهب ريحهـــا، ولكنـــها كانت دائما حلمه الذي يوقن أنه سيتحقق :

أجيئك في موعد ضربته الشبيبةُ ..

صدقتِهِ أنتِ لكنني لم أصدّقْ ..

وكنت انتظرُتكِ – من دون جدوى –

السنين الطوال .. الطوال .. الطوالْ ..

أجيئك يامن عشقتُ ،

وبشرت قلبى بلقياكِ ..

يا من صنعتك من جمرة الحُلْمِ – لما تأخرتِ –

شمسًا ..

وخبأتها في فؤاديَ

حتى تشق غيوبَ السؤالْ !

** ثم يصور الشاعر الثورة في الميدان تصوير فنيا حيا زاخرا بالموسيقى الهادرة التي تـــؤدي فيها القافية دورا رائعا .. منفتحا على أحداثها الدامية .. داعيا إياها للـــصمود بعـــد أن تحققـــت وتجلت شمسُها :

ولابد من أن أبوحَ ..

وقنّاصةُ الأمن فوق المنازلِ والجسر والمركباتِ ..

ولابد من أن تهبي كعاصفةٍ ،

فوق أكتاف من يفتدونكِ ،

سافرةً كالشموس ..

ومنبئةً في الدجى كالهلالْ ..

.....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالَىْ بعيدًا .. تعالى إلى حافة الجسرِ ،

أبعدَ من طلقاتِ الرصاصِ ..

لكي نتبادل أسرارَنا في الخفاءِ ..

وأَنْعَمُ حينًا بشهد الوِصالْ ..

لقد فرقتنا الطغاةُ ..

المنافي .. السجونُ ..

وها أنتِ أقربُ لي من وريديَ ..

ماثلة : حيّة .. لا خيالْ !

** ثم يبشر الشاعر الثورة بالنصر .. مؤكدا أن دماء الشهداء ستكفل لها الفـــوز والمجـــد ، محذرا إياها من أعدائها المندسين في صفوف الثوار ممن يريدون الانقضاض عليها :

تعالىْ بعيدا لثانيةٍ ، سأقول لك السِّرَّ :

من بقع الدم يطلع وردُ المحالِ !

ومن نفح عطر الشهيد

سيلمع تاجُك مشتعلا باللآلْ ..

وإنك منصورةٌ !

–هكذا جاء في اللوحِ –

لكن من يظهرون الولاء لكِ الآنَ

بينهمو من أعدو لموتِكِ مشنقةً

في ظلام الليالْ !

** ويستعين الشاعر بتقنية التناص بعد ذلك وحتى آخر قصيدته حيث أدى التنـــاص دوره وأحدث أثره، موظفا شخصيات التراث التاريخية على نحو يثري الدلالة ويضئ الـــرؤى ، مـــشيدا بتضحيات الثوار :

قفي بين أبنائِكِ الغُرِّ ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين من حملوكِ إلى ساحة المجدِ ،

عَبْرَ الأناشيدِ ،

من أول الفجرِ ..

من أول الدم والنارِ ،

واخترقتهم رصاصات " قيصر " كي لا تموتي ..

وكان " جيفارا " – الذي يهبط الأرض في كل عامٍ –

يلّوح عبر الأثير لهم من بعيدٍ

وكان يؤذن فيهم بلالْ ..

وجاءوكِ بعد فرار " الطواغيت " بالورد والغارِ ،

والشهداءِ لكي ما يقيموا لك العُرْسَ ،

ثم يعودوا لجناتهمْ ،

بينما أنتِ من خلفِهمْ ،

تصعدين الثنايا مودّعةً بدموعكِ ركبَ الجلالْ ..

** ويحذر الشاعر الثورة لا من جنود النظام المتهاوي فهي تعرفهم وهي أدرى بهـــم ، بـــل يحذرها أيضا من ناقضي عهدها .. ويتناص مع قصة زرقاء اليمامة .. فينبهها إلى انه يرى أعـــداءها قادمين متخفين كي يقضوا عليها ويحضّها كي تلوذ بأبنائها الثوار الحقيقيين:

ولست أحذر من جند " قيصرَ "

مثلُكِ أَدْرَى بهمْ !

بل أحذر من ناقضي عهدِكِ الدُّخلاءِ !

حذارِ .. حذارْ ..

تقول لك الآن " زرقاء مصرَ " :

الشجيرات تمشي الهويني إليكِ ..

الشجيرات قادمةٌ من وراء التلالْ !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فظلي على كتفَيْ جيلِكِ المستهين بأرواحِهِ ..
جيلِكِ الفذِّ ..
مَنْ شَقَّ سِتْرَ المنونِ
لكي تعبري أنتِ جسرَ المحالْ !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

نماذج من شعر الثورة لا تتمتع

بالمستوى الفني الرفيع

** نسوق فيما يلي نماذج من القصائد التي لم تتمتع بمستوى فني رفيع لخلوها من ماء الشعر أو قوة العاطفة والانفعال أو إشراق الديباجة أو أحكام المعاني أو الصور الشعرية والمجازات الخلاقة أو التي شابتها بعض العيوب اللغوية والموسيقية .

أ- فقصيدة الشاعر حلمى سالم " سالى زهران " ، تنطوى على بعض هذه العيوب وأخصها عدم إشراق الديباجة وركاكة الأسلوب وضعف اللغة وعدم اختيار أفضل الألفاظ والتراكيب على نحو يحول دون بلوغ الصياغة أوجها . فعلى سبيل المثال يقول الشاعر فى قصيدته:

لو أنى كنت رأيتك قبل ينايرْ
كنت وقعت كصَبٍّ فى حبكِ مغروما
مثل كُثَيِّرِ عزةْ
أو قيسِ المروض بليلى
أو وضاحِ اليمن المقتول بليلْ ..

** فلفظ "مغروما " لفظ مهجور باهت خلت منه كل المعاجم الحديثة (ويراه البعض خطأ لا أصل له فى اللغة) واللفظ الصحيح الفصيح هو " مغرما " . والشاعر لم يكن بحاجة لأن يستعمل هذا اللفظ الذى استعمله أصلا ، فما دام قد وقع فى حب الفتاة ووصف حاله آنئذ بأنه صَبٌّ ؛ فإن لفظ "مغروما " يكون حشوا لا ضرورة له.

** ولفظ "ممروض " صحيح لغة مثل المريض . ولكنه لفظ مهجور باهت مثل لفظ " المتمرض " وهو لفظ صحيح أيضا .

** وفى تصورى أن فقر معجم الشاعر وضعف رصيده اللغوى هما السبب فى وضوح هذه الظاهرة فى شعره .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب- وقصيدة الشاعر حسن طلب التي تحمل عنوان " الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ " لم تخل من الهنات ومن ركاكة الأسلوب وضعف الصياغة ومن المباشرة المفرطة التي لا تليق بفن الشعر ، ومن ذلك قوله :

واجهنا فى الجولة بعد الجولةْ

بطشَ الشرطة والمرتزقينَ

وإرهابَ الدولةْ !

وهو قول نثرى تقريرى مباشر خالص خلا تماما من الشعرية. وكذلك الحال بالنسبة لقوله بعد ذلك :

" لم نعلم كيف ولا من أينَ

أتتنا القوةْ ! "

فهو محض نثر .

** ويقول فى موضع آخر من القصيدة :

" فقصدنا الميدانَ

كأن ملائكة الرحمن تحالفنا

وطيوف إلهات الحب تصادفنا " .

** وهو قول صيغ في عبارات تقليدية مستهلكة.

** ونرى أن الشاعر لم يكن موفقا فى الجمع بين " ملائكة الرحمن " وطيوف إلهات الحب " فى هذا السياق . فملائكة الرحمن تعبير عن مفهوم ينتسب للأديان السماوية بينما إلهات الحب مفهوم ينتمى للأساطير الأولى الإغريقية والرومانية والفرعونية الوثنية ، والجمع بينهما لا مبرر له من الناحية الفنية .

** وفى ذات القصيدة يقول حسن طلب :

تبارك الحلم الذى

لو لم نكن باليد أمسكناهُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

راغْ !

تقدس اليوم الذى

فيه تنادينا إلى الميدان .. لكنْ

نحن لم نأت من الفراغْ ..

ففى هذه الأبيات ذات العيوب التى شابت أبياته السابقة .. وربما كانت أكثر منها ركاكة ، وانشغالا بتخليق قوافٍ مصطنعة على حساب جوهر الإبداع وإشراق الديباجة وعذوبة الموسيقى .

** وفى قصيدة أخرى بعنوان " كلنا خالد سعيد " يقول الشاعر حسن طلب :

" سيبقى روحُكَ الخالدْ

وتنفضح العصابةُ

من زبانية النظامِ

ومن رجالِ الأمنْ "

** وهذا القول محض عبارات تقريرية مباشرة تعتمد الهجاء السياسي النثري ولا صلة لها بالشعر. بل وتخلو حتى من بريق النثر الفنى لأنها عبارات مكررة مألوفة خالية من الفصاحة ومن التصوير والمجاز. والأبيات التالية ليست أفضل حالا من الأبيات السابقة والتى أراد أن يعبر بها عن محاولات قاتلى خالد سعيد تضليل العدالة :

" سألناهم فما باحوا ..

وراحوا يهمسون إلى القضاةِ ..

ويطمسون شهادة الشاهدْ .."

** فهذه أيضا عبارات نثرية مباشرة تقريرية لم تكن إلا وليدة التسرع الذى لا يجوز أن يتسم به عمل شاعر شهير مثل حسن طلب. ناهيك عن عدم إحكام المعنى وعدم دقة الصياغة فهو يجعل القتلة يهمسون إلى القضاة ! مما يعطى – في تصوري - انطباعا يسئ للقضاة الشرفاء كما يسئ للقتلة مضللى العدالة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج- ولا تخلو رباعيات الشاعر عبد اللطيف الجوهرى من المباشـــرة والتقريريـــة ومـــن ركاكـــة الأسلوب وعدم إحكام الصياغة وأخطاء اللغة والعروض رغم أنه من معلمى اللغة .

- فهو يقول مثلا فى رباعيته الأولى " يقظة شعب " :

شعب تنادى للعلا وتجمهرا

نهضت طلائع فجره إذ أسفرا

يمضى جسورا فى كتائب عزة

قد هز عرش البغى راح القهقرى

فقد اكتمل المعنى فى الشطر الأخير بهز عرش البغى أما عبارة "راح القهقرى " فهى لهـــاث وراء القافية على حساب الصياغة التى جعلت عرش البغى يعود للخلف وهى صـــورة ضـــعيفة فى صياغة ركيكة .

** وتنطوى رباعيته التالية (إلى شباب مصر) على خطأ عروضى أصاب موســـيقى بيتـــها الثالث بالنشاز :

[١] أيقظِ الكونَ وغرّدْ بالنداءْ

أيها الباعث فى الأفق الرجاء

[٢] أنت إذ تمضى بعزم المفتدى

دانت الدنيا وأرجاء السماء

[٣] هكذا غرد باللحن الوفاء

يا شباب القادم يارمز الإباء

- فالرباعية من بحر "الرمل" : فاعلاتن فاعلاتن فاعلات " وكلها صحيحة الموســـيقى عـــدا الشطر الأخير الذي اتسم بالنشاز لخروجه عن البحر الذي صيغت منه الرباعية فتفعيلاته كالآتي :

فاعلاتن مفتعلن مستفعلان

والتفعيلتان الأخيرتان لا علاقة لهما ببحر الرمل فهما من بحر " الرجز "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أما رباعية الجوهرى الثالثة (نهضة وطن) فهى ركيكة الأسلوب مضطربة المعنى وفيهـا يقول :

نهضت إليه من الإسار الغيدُ

ومدامع العجز المجنح جيدُ

فبعد أن قال إن الغيد نهضن للوطن أتى بعبارة لا معنى لها فجعل من مدامع العجز جيدا أى عنقا !! ووصف العجز بأنه مجنح ولم يرشح لهذا العجز المجنح ولم يورد سببه بعد أن قال إن الغيـد نهضن من أجل الوطن !

د- وحتى الشاعر الشهير فـاروق جويـدة لم تخـل قـصيدته " ارحـل كـزين العابـدين " -التى أملتها الحماسة لحدث الثورة - من العيوب ، ولم تظفر هـذه القـصيدة بعنايتـه ولم يستخدم مهارته الفنية وخبرته الإبداعية فى نسج بعض أبياتها فجـاءت سـطحية مباشـرة تقريرية، وجاء الكثير من عباراتها مستهلكا مباشرا خاليا من ماء الشعر . مثل أبياتـه الآتيـة التى يخاطب فيها الرئيس المصري السابق ويطالبه فيها بالرحيل مثلما أجبرت ثورة تـونس " زين العابدين بن على " على مغادرة البلاد :

ارحل كزين العابدين ولا نراه أَضَلَّ منكْ ..

ارحل وحزبك فى يديكْ ..

ارحل فمصر بشعبها وربوعها تدعو عليك !

..... لا تنتظر أما تطاردها هموم الدهر تطلب ساعديكْ !

هـ- بل بلغت السطحية والاستعجال حدا جعل بعض قصائد الشعراء الذين اعتلـوا المنـابر فى غمرة الثورة تثير أحيانا الضحك مثل قول الشاعر محمد عثمان فايد فى قصيدته " بعد مـا حانت وفاتى " ، مخاطبا مصر :

أعود إليكِ منتعلا حَصاتى

وأحمل فى جرابى أمنياتى

ونادى صوتك المجروح : جِئْنى

فجئتك حافيا وأَجُرُّ شاتى !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و- وجاءت قصيدة " جمل وحاسوب " للشاعر عدنان برازى شبيهة بالنص السابق فى بعض أبياتها .. فرغم سلامة معظم أبياتها من حيث اللغة والعروض فقد انطوت على أبيات بالغة التقليدية والمباشرة خالية من ماء الشعر مليئة بالهجاء وبالسباب المجرد من الفن، ولا تخلو من الركاكة في الأسلوب، وهي تتحدث عن الواقعة التي اشتهرت إعلاميا "بموقعة الجمل" عندما فوجئ الثوار في أيام الثورة الأولي بأعداء الثورة يركبون الجمال والخيول ويهاجمونهم بالسيوف والسياط والبلط في ميدان التحرير .. ويقارن الشاعر بين راكبي الجِمال الذين يمثلون عصر الجاهلية والثوار الذين نسبهم ل:"الحاسوب" رمزا للعلمِ والحداثة, من ذلك:

جَمَلٌ كعصر الجاهلية يهجمُ

والعلم في ميداننا لا يُحْجِمُ

جَمَلٌ وحاسوبٌ ويحتدم الصرا

عُ...فمن بمعركة الكرامة يغنم

هل يغنم الجهلُ القديم وحزبهُ

ويظل يحكم مصر فكرٌ مجرمُ؟

هل تنتهي تحت السنابك ثورة

فتحت لنا الأبواب قالت أقدموا ؟

حزموا الجِمال وراكبيها ..والذي

نَ وراءَهم لمؤامرات أحكموا

ولا يخفي ما في هذا النص من عبارات تتسم بركاكة الأسلوب وضعف الصياغة

ز- وأما الشاعرة نوال مهنى فقد أهدت " شباب مصر الذين أشعلوا ثورة الحرية فى ٢٥ يناير " قصيدتها " شباب الأمل " ، وهى فى الواقع نشيد مفعم بالحماس فى لغة صافية سهلة وبناء موسيقى حى، ولكن هذا النشيد لم يخل فى بعض أبياته من الأسلوب الركيك والألفاظ والتراكيب المستهكلة .. والمعانى السطحية غير المحكمة مثل قولها :

إلى المجد هيا شباب الأمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى الغد سيروا لخير العمل

محوتم وجوه الطغاة التى

أشاعت بمصر خبيث العلل

بناة المعالى وحراسها

أعيدوا الأمان لنمحو الزلل

ح- وبأسلوب أكثر ركاكة وأضعف صياغة كتب الشاعر " الجرنوسى الصغير " قصيدته " حرارة الحرية " وقد تضمنت الأبيات الآتية :

السلم يصطحب الكسالى للرقادْ

لم يخف إثما مثلما فعل الحيادْ

ونرى احتداد طباعنا كشموسنا

جعلت كرامة أمتى ماءً وزاد

لا تعجلوا هذى الزروع بمشرقى

فثمارها تؤتى إذا اشتد الفساد

سل ما أصاب جنود فرعون .. وما

قد حل بالنمرود أو ذات العماد

يغريهمو السلطان والكرسى وال

تدليس فى صمت التنافق والبداد

** وإذا كانت الأبيات السابقة قد خلت من أخطاء العروض فهى لم تخل من أخطاء فى اللغة وفى صياغة المعانى كما هو الحال بالنسبة للفظى التنافق والبداد .

** فالشاعر يريد "بالتنافق " النفاق فى حين أن الفعل نافق (أى أظهر خلاف مـــا يـــبطن) مصدره : نفاق ومنافقة وليس تنافق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** والشاعر يقصد بالبداد فيما يبدو : التفرق . فى حين أن الفعل بدد (أى فرق) مصدره: تبديد . فيقال : بدد الشئ تبديداً أى فرقه وأهدره ، ويقال بدد ماله أو طاقته تبديداً ، والفعل تبدد (أى تفرق) مصدره : تَبَدُّد . فيقال تبدد الشئ تبددا أى تفرق . أما لفظ البداد فى هذا السياق فلفظ غير صحيح لغة .

ط- وللشاعر محمد على عبد العال وهو شاعر معروف ورئيس مؤسسة ثقافية عريقة (رابطة الأدب الحديث) قصيدة بعنوان " يا أولادى سمعا وطاعة " يُحَيِّ فيها الثوار الذين أنقذوا الوطن بعد غرقه فى الفساد والرشوة والخنوع . وفى القصيدة أبيات ركيكة الأسلوب مستهلكة الألفاظ والتراكيب ساذجة العبارة مثل قوله :

عالجتموا مرضا أمات نفوسنا
داء الرشاوى قد أطاح بجيلنا
وتفشت السرقات بين جموعنا
وقع البطالة بالشباب لها انحنى
كثر النفاق وقد تغير طبعنا
وتسلقت فئة تجيد تلونا
حتى بدا فينا الأمين مخوَّنا
يرضى السكوت لكى يعيش مهادنا
أما الشباب فقد تغرب ها هنا
وأصابه نوعٌ من السأم المميت لحالنا
حتى غدا الإنقاذ هَمًّا مزمنا
وإذا بهذا الجيل ينقذ مصرَنا

** ولا يخفى الخطأ العروضى الوارد فى البيت قبل الأخير والذى ضم فى شطره الثانى تفعيلة زائدة أَخَلَّتْ بالوزن وسببت النشاز.

** ولم تخل القصيدة للأسف من أخطاء اللغة أيضا على نحو ما جاء بالبيت الركيك الآتي:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمعًا وطاعةَ كل ما قد رَدَّنا
ولمصرنا فأعادنا وأفادنا

فالصحيح أن يقول سمعًا وطاعةً ، وليس سمعًا وطاعةَ وقد ألجأه لذلك مقتضى الـوزن دون أن يكون ذلك جائزًا لغةً .

والصحيح أن يقول سمعا وطاعةً لكل ما قد ردّنا ولمصرنا أعادنا (ولـيس ردنـا ولمـصرنا فأعادنا) فالفاء هنا لا موضع لها.

** وفى مطلع القصيدة يقول الشاعر :

غيرتموا عجزا أصاب شبابنا
وأحاطنا هَمٌّ أَقَضَّ منامنا

والأَوْلى فيما أرى أن يقول أَقَضَّ مضجَعَنا لا منامنا، لأن الأصل لغةً هو: قَضَّ الفِـراشَ أى خَشُنَ كأن به حصى بحيث لا يهنأ فيه النومِ . وقضَّ المكانُ أى كثر فيه الحصى والتـراب . ولعـل المألوف بالتالى أن يقال " أَقَضَّ مضجعنا (لا منامنا) أى جعلنا لا ننام (لأن المضجع صار خَـشِنًا غير مريح كأن به حصى) .

** ولما كنا قد أخذنا على معظم شعر الثورة خلوه من العاطفة المصبوبة في لغة شعرية محلقة، واستغراقه فى الخطابية الزاعقة أو النثرية والعبارات التقريرية المباشرة المـستهلكة ، الـتى لا تمـنح النشوة ولا تطلق الخيال والتى تخلو من ماء الشعر، وذلك كله على حساب أصول هذا الفن الذى يفترض فيه الإبداع والتجدد والتعبير بالصورة وتحميل اللغة بالمعانى والدلالات الدقيقة والموسـيقى المحكمة وعدم طغيان الصنعة على صوت الوجدان ؛ إذا كنا قد أخذنا على معظم شعر الثورة هذه المآخذ ؛ فإننا نزيد هذه الملاحظة النقدية إيضاحا بالقول – مع الناقد الدكتور عبد الله الغذامى بأن الشعر فى إحدى تجلياته هو فعالية لغوية انحرفت عن مواضعات الاعتياد والتقليد، وتلبست بـروح خاصة رفعتها من سياقها الاصطلاحى المعروف إلى سياق جديد يخصها ويميزهـا . والـنص الأدبى بصفة عامة يعتمد – فى وجوده كنص أدبى – على شاعريته، على الرغم من أن الـنص يتـضمن عناصر أخرى ، ولكن الشاعرية هى أبرز سماته وأخطرها[1].

(1) أنظر : " الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية " : د. عبـد الله الغـذامي – مكتبـة الأسـرة (٢٠٠٦) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** ورغم أنه لا يعيب الشعر أن يتضمن بعض العبارات النثرية إلا أن الشعر ككل متجاوز فى لغته لا يقف أبدا عند حدودها التقريرية المباشرة المعروفة . ومن هنا يقول "سارتر" : من البدهى أن فى كل شعر بعض مظاهر خاصة بالنثر .. ولكن الشعر دائما متجاوز فى لغته [١].

ويقول " سارتر " إن الناثر يوضح معانيه بدقة ويجلو عواطفه ظاهرة محددة ، أما الشاعر فإنه حين يَصَبُّ عواطفه فى لغته الشعرية تسيطر اللغة على العاطفة وتنفذ خلالها وتلبسها أثوابا مجازيـــة، ويصبح الانفعال شيئا له كثافة الأشياء وتبدو عليه مسحة مـــن الغمـــوض المحبـــب إذا اكتـــسب الخصائص الغامضة للألفاظ التى عبر بها . ويوجد دائما فى كل عبارة وكل بيت من الشعر ما هـــو أكثر بكثير من مجرد الإحساس (فمجرد الإحساس يمكن أن يكون موجودا أيضا فى النثر) فحـــين تصبح الألفاظ والجمل بمثابة شئ من الأشياء الخاصة تتعدد دلالاتها ربما الى مالا نهايـــة كالأشـــياء ، فتطغى حتى على العاطفة التى أثارتها[٢].

** ويقول الشاعر الباحث أحمد شلبى استصحابًا للمعانى السابقة :

" نحن أمام النص الشعري نتساءل دائما : ما مدى ما به من شاعرية ؟ وبالتالى ما مدى مـــا به من توفيق ؟ ونتساءل التساؤل نفسه معكوسا : ما مدى ما به من نثرية ؟ وبالتالى ما مدى ما بـــه من إخفاق ؟ وعلى قدر ما بالنص الشعرى من شاعرية يكون التوفيق ... فالشعر اعتمـــاده علـــى العاطفة والتجاوز اللغوى[٣]

** ومن هنا ينتهى أحمد شلبي إلى انه إذا عثرنا على الشعر غالبا عليه النثر يكون الشاعر قد أخفق! ونحن بمفهوم النثر الأدبي عندنا كعرب نطرب كلما أوغلت الـــشاعرية فى الـــنص النثـــرى ونستاء كلما توغلت النثرية فى النص الشعرى . فالشاعرية تسمو بالنص النثرى بينما النثرية تهوِى بالنص الشعرى "[٤]

---

(1) جان بول سارتر " ما الأدب ؟ " – مكتبة الأسرة (٢٠٠٠) سلسلة أمهات الكتب – الناشر : الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ص ٣٢.

(2) سارتر : المرجع السابق ص ٣٢.

(3) أحمد شلبي : النص والنص الزائف في الشعر العربي المعاصر – الناشر مكتبة بيروت – الطبعـــة الأولى (٢٠١٠) ص ١٢.

(4) أحمد شلبي – المرجع السابق – ص ١٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** وهذا ما لاحظناه فى نماذج شعر الثورة التى غلبت عليها النثرية كما تقدم .

** وإذا كان حافظ إبراهيم شاعر النيل وعبد الرحمن شكرى رائد التجديد وأحمد أعمدة مدرسة الديوان قد أخذ عليهما غلبة النثر على بعض قصائدهما – وهما من هما فى عالم الشعر والإبداع – فإننا نكون على حق إذا ما أخذنا على بعض شعراء الثورة غلبة النثر على الشعر فى إبداعهما .

** فقد أخذ بعض النقاد على حافظ إبراهيم قوله :

أَىْ رجال الدنيا الجديدة مِدُّوا
لرجال الدنيا القديمة باعَا
وأفيضوا عليهمُ من أيادي
كم علوما وحكمة واختراعا
كلَّ يوم لكم روائعُ آثا
رٍ توالون بينهن تِباعا

** واعتبر هؤلاء النقاد الأبيات السابقة أقرب إلى النثر منه إلى الشعر وعابوا عليها هذه المباشرة والتقريرية .

- كذا أخذوا على عبد الرحمن شكرى قوله :

إذا لم يَعُدْ بالشرِّ ما أنت ناعمٌ
به فانتهزْهُ .. ليس فيه حرامُ
فكم لذةٍ للمرءِ كان اغتصابها
حراما أُحِلَّتْ .. والحروفُ كِرام
فرُبَّ حلال حرموه ، وحرمة
أحلوا .. وألبابُ الأنام نيام

واعتبر أولئك النقاد الأبيات السابقة مجرد نثر صيغ نظما فى قالب عروضى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** ويعقب الشاعر الباحث أحمد شلبى على الأبيات السابقة بأن ما فيها من معـــان وصـــيغ نثرية لا تتطلب موهبة شعرية ولا شيئا من المعاناه الفنية؛ إذ أنها تتولد من فكرة تعبر عنـــها اللغـــة مباشرة فى اى وقت ودون أى إلهام أو انفعال، وعلى أى وزن عروضى ، ما دام كاتبها يـــستخدم هذه اللبنات ليقيم منها بناءه الخطابى النثرى[1].

** وأما الأسلوب الركيك وضعف اللغة والعبارات الفقيرة فى المعنى والدلالة وعدم إحكام المعنى والصياغة وهو ما أخذناه آنفا على بعض نماذج شعر الثورة وربما أغلبها؛ فهو أمـــر مرفـــوض فنيا أوسعه نقاد العرب الأعلام القدماء نقدا وتجريحا، وأشادوا بنقيضه فى شعر العرب ممـــا اتـــسم بعذوبة أو جزالة اللفظ واستقامة المعنى وشرفه وصحة وإشراق الديباجة وإحكام الصياغة .

** فالقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى يقول فى كتابة الشهير " الوســـاطة بـــين المتـــنبى وخصومه :

" وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب وبده فأغزر ولمـــن كثـــرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته "

** ويضرب الجرجانى مثالا للشعر الجيد فى كتابه " الوساطة " من شعر أبى تمام :

دعنى وشُربَ الهوى يا شارب الكاسِ
فإننى للذى حَسَيْتَهُ حاسى
لا يوحشنك ما استعجمت من سقمى
فإن مُنْزِلَهُ من أحسن الناسِ
من قطع ألفاظه توصيل مهلكتى
ووصل ألحاظه تقطيع أنفاسى

** ويعلق الجرجانى على الأبيات بملاحظته النقدية الآتية :

---

(1) أحمد شلبي – (النص والنص الزائف) المرجع السابق ص١٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" لم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة .. طابق وجانس واستعار فأحسن. وهى أبيات معدودة فى المختار من غزله، وحقَّ لها، فقد جمعت فنونا من الحسن وأصنافا من البديع ثم فيها من الإحكام والمتانة والقوة ما تراه "

** ومع هذا الإعجاب بأبيات أبى تمام نجد الجرجانى يفضل عليها أبيات الصمة بن عبد الله القشيرى الآتية قائلا " عن أبيات أبي تمام السابقة : ولكنى ما أظنك تجد فيها من سورة الطرب وارتياح النفس ما تجده فى قول بعض الأعراب (الصَّمَّة):

أقول لصاحبى والعيس تهوى
بنا بين المنيفة فالضمارِ
تمتع من شميم عَرار نجدٍ
فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد
وريا روضهِ غِبَّ القطار

** ونقدنا السابق لنماذج شعر الثورة الرديئة ليس مرده فقط إنتفاء مهارة الصنعة وخلوها الكامل من التصوير الفنى والمجاز . ولكن خلوها – أساسا – من روح الشعر الحق وأدوات الفن الرفيع . فالجرجانى نفسه يرى أن جمال الشعر ليس بمهارة الصنعة وحدها ويقول إن العرب لم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالبديع والاستعارة؛ بشرط سطوع الوجدان وتجلى جوهر الشعر وروحه . فشعر الثورة الذى انتقدناه لم يخل فقط من مهارة الصنعة بل خلا من الحد الأدنى لجمال الصياغة وسلامة الأسلوب ومن روح الشعر الخلاق ، وشابته البرودة والغثاثة مما يذكرنا بوصف الجرجانى للشعر القبيح الذى " جمع بين البرود والغثاثة وبين الثقل والوخامة فأبعد الاستعارة وعوص اللفظ وعقد الكلام وأساء الترتيب وبالغ فى التكلف حتى خرج إلى السخف!" .

** ولم يكن الجرجانى – كما هو معروف - وحيدا فى فحص الشعر وتتبع أوجه الجمال والقبح فيه وصولا إلى معايير الشعر الحق . فهذا هو ابن قتيبة يقول :

قدرت الشعر فوجدته أربعة ضروب : " ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه . وضرب حسن لفظه فإذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا منه . وضرب منه جاد معناه وقصرت الألفاظ عنه . وضرب منه تأخر لفظه وتأخر معناه وهذا الصنف الأخير بين التكلف وردئ التصنيع "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونرى أن معظم النماذج التى انتقدناها من شعر الثورة هى من هذا النوع الأخير .

ونلاحظ أن ابن قتيبة حتى بالنسبة إلى الشعر جيد المعنى والسبك أخذ علـــى بعـــضه أنـــه " قليل الماء والرواء " !

** كذا نجد ابن طباطبا فى مؤلفه الشهير " عيار الشعر " يقسم الأشعار إلى طبقات . فيشيد " بالأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة للمعانى الحسنة الرصف ، سلسلة الألفاظ التى خرجت خـــروج النثر سهولة وانتظاما ، ولا استكراه فى قوافيها ولا تكلف فى معانيهـــا " . وكـــذلك يـــشجب " الأشعار الغثة الألفاظ ، المتكلفة النسج ، القلقة القوافى " فان أنزلنا معايير الجرجانى وابن قتيبة وابن طباطبا تلك على النماذج الرديئة من شعر الثورة لاستبان قبحها .

** وأخيرا فإننا نختتم ملاحظاتنا النقدية السلبية على بعض شعر الثـــورة بنقـــد الخطـــاب الهجائي السياسي السطحي المباشر الذي اكتنفه والذي يصل أحيانا إلى حد السب المجرد مما يـــصل بالنص إلى مرحلة الإسفاف . وخير مثال له قصيدة الشاعر حسن توفيق " آن أن يرحـــل الطغـــاة جميعا " التي يصف فيها الحاكم السابق في عبارة ركيكة مغرقة في الإســـفاف "بـــالقرد الرقيـــع" !! ويقول فيها :

آن أن يرحل الطغاة جميعَا
يا بليدا .. معقدا .. ووضيعَا
أحمق أنت طائش الخطو تبدو
بهلوانا يمارس الترقيعا
بكتاب مهلهل همجيٍّ
عشت تستجدي قارئا أو سميعا
أطلق النار بالغباء وقامر
لن يخيف الغباء حصنا منيعا[1]

(1) حسن توفيق : قصيدة منشورة بجريدة أخبار الأدب - العدد ٩٢١-الأحد ٢٠ مارس ٢٠١٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

** وينتقد الناقد شريف رزق – بحق – النص السابق قائلا : " إن الخطاب الشعري هنا يستسلم لتدفق الهجاء الجهير ، وبدلا من تشكيل رؤيا شعرية تبث دلالاتها السياسية شعريا يترع الخطاب إلى أشد الآليات بدائية وفقرا ، عبر إحياء غرض الهجاء في بناء شعري لا يقل رجعية وتقليدية وإسفافا ، وفي أداء خارجي يؤثر الوصول إلى غرضه السياسي عبر أقصر الطرق ، وهو أداء لا يرتبط عضويا بخصوصية الحدث الثوري الجديد ولا بآليات الشعرية التي يمكن أن تجسد هذا الحدث في خطاب شعري حقيقي ومعاصر "[1].

** ولم تخل قصائد الشاعر الدكتور حسن طلب من عبارات تنطوي أيضا على الهجاء السياسي التقليدي الجهير مثل قوله :

" ستنفضح العصابةُ .. من زبانية النظام .. ومن رجال الأمن "[2].

** وكذلك الحال بالنسبة للشاعر فاروق جويدة في مثل هجائه للرئيس السابق:

ارحل كزين العابدين
ولا نراه أضل منك
ارحل فمصر بشعبها
وربوعها تدعو عليك [3]

---

(1) شريف رزق – المرجع السابق – ص ١٦.

(2) د. حسن طلب : قصيدة " كان كذلك " – المرجع السابق – ص ١٧ ، ١٨.

(3) فاروق جويدة – قصيدة ارحل كزين العابدين – جريدة الأهرام – العدد (٢٠١١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمة

** جاء هذا البحث فيما أتصور مرآة لشعر مصر الذي ابتدع تعبيرا عن ثورة ٢٥ ينـــاير ٢٠١١ المجيدة ، ومواكبة لأحداثها ، وتمجيدا لها وللمبشرين بها ولشهدائها وقلقا مـــن تحولاتهـــا ومحاولات اختطافها وخمود مشاعلها ، ورصدا لسلبيات المرحلة التالية لإســـقاط النظـــام ودعـــوة للصمود ولاستمرار الثورة حتى تحقق أهدافها .

** استهل بحثنا هذا بمقدمة وجيزة عن الثورة وشعرها ثم دار في المحورين الآتيين :

الأول: ظواهر فنية تميز بها هذا الشعر مثل التضمين، وابتـــداع الأســـاطير وتوظيفهـــا وتوظيـــف الشخصيات التراثية وأحداث التاريخ، والتناص .

الثاني: التدليل على تفاوت المستوى الفني لشعر الثورة تفاوتا هائلا.

وانتهى البحث الماثل إلى إبراز نتائجه على النحو التالي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نتائج البحث

أولا: دلل البحث على وجود ظواهر فنية في شعر الثورة مثل التضمين، وابتداع الأساطير وتوظيفها وتوظيف الشخصيات التراثية والأحداث التاريخية ، والتناص.

ثانيا: انتهى البحث إلى إثبات تفاوت المستوى الفني لشعر الثورة تفاوتا هائلا فبينما بلغ القليل منه ذروة التعبير الشعري والفن الرفيع ، نجد أن معظمه قد شابه قدر هائل من المباشرة والخطابية والتقريرية وطغيان النثرية على الخطاب الشعري أو كونه في النهاية أقرب إلى النظم منه إلى الشعر ، وعدم إحكام المعنى وركاكة الأسلوب وتبنى الهجاء السياسي التقليدي السطحي أحيانا ، بل اعتورت بعضه أخطاء في اللغة والعروض وخلل في البناء الموسيقى. إذ أن استجابة معظم الشعراء للثورة كانت حماسية سريعة يغلب فيها التأريخ والصراخ بالشعارات والخطاب السياسي الدعائي الزاعق على الاعتبارات الجمالية والخطاب الشعري الفني ، فضلا عن انطواء معظم النصوص على آليات متكررة تقليدية رتيبة .

** هذا وقد ساعدني في إنجاز هذا البحث حرصي منذ اندلاع مظاهرات ٢٥ يناير على جمع أشعار الثورة التي نشرت في الصحف والدوريات والمجموعات الشعرية التي أبدعها شعراء مصر الذين التفوا حول ألوية الثورة . وقد انتخبت منها أفضل النماذج قدر المستطاع ملتفتة عن المئات من قصائد النثر التي حاولت التعبير عن الثورة ، وذلك لخلوها التام من الموسيقى وخلو معظمها من التصوير والمجاز ، حال كون الموسيقى والتصوير والمجاز هي أجنحة الشعر التي لا يحلق بدونها[1]. وأظن أنني قد أشرت لمعظم شعراء مصر المعاصرين الذين كتبوا عن الثورة واستشهدت بقصائدهم أو ببعض أبياتهم وفي طليعتهم : أحمد عبد المعطي حجازي وصابر عبد الدايم وفؤاد طمان وفاروق

---

(1) من هذا الرأي :* الناقد الكبير الدكتور محمد مندور الذي يقول " إنه لا شعر بدون موسيقى " {كتابات محمد مندور المجهولة } – الناشر المجلس الأعلى للثقافة - الطبعة الأولى – ص؟

* الشاعر احمد عبد المعطي حجازي الذي يصف قصيدة النثر بالقصيدة الخرساء لخلوها من الموسيقى الواضحة منتهيا إلى أن الموسيقى المنتظمة المضطردة هي عنصر أساسي من المكونات الجوهرية للقصيدة لا تكون شعرا بدونه { كتابه : قصيدة النثر – القصيدة الخرساء } - الناشر مجلة دبي الثقافية – الطبعة الأولى ٢٠٠٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جويدة وفاروق شوشة ومحمد إبراهيم أبو سنة وأحمد عنتر مصطفى وعزت الطيري وأحمد شلبي وإيهاب البشبيشي ومحمد سليمان وحسن طلب وحلمي سالم وعمر حاذق وأحمد سويلم ومحمد أبو دومة ويوسف نوفل وحسن فتح الباب وسامح درويش وصلاح اللقاني ومحمد فريد أبو سعدة.

** ولا يفوتني أن أنوه بأن ما أبديته من ملاحظات نقدية على شعر الثورة لا يمثل نقدا شاملا له، فمثل هذا النقد الشامل يحتاج إلى دراسات متخصصة شاملة لا يتسع لها هذا البحث ، ولكن تلك الملاحظات فيما أتصور هي خطوط عريضة يمكن أن تمهد لمثل تلك الدراسات المتخصصة .

** وأخيرا فإن المدى الزمني لموضوع هذا البحث كما يبين من مدوناته جاء محصورا بين اليوم الذي اندلعت فيه الثورة (٢٥ يناير ٢٠١١) حتى إجراء الانتخابات الرئاسية التي أعقبها تولي الرئيس المنتخب للبلاد مسئولية الحكم بعد أن أعلن فوزه يوم الأحد الموافق ٢٤ يونيه ٢٠١٢ . أما الأحداث التالية والشعر المصري الذي عبر عنها فمجاله دراسات مستقلة متخصصة أخرى.

** وآمل أن يكون هذا البحث قد نجح في إلقاء الضوء على بعض الجوانب الفنية في شعر الثورة الذي لم يحظ حتى الآن فيما أظن بدراسة نقدية فنية شاملة مفصلة جادة متعمقة تسد فراغا في مكتبتنا العربية .

والله ولي التوفيق ،،،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصادر البحث

١ - أمل دنقل – الأعمال الشعرية الكاملة – الناشر المجلس الأعلى للثقافة – الطبعة الأولى (٢٠٠٣) .

٢ - آن موريل : النقد الأدبي المعاصر – ترجمة إبراهيم اوجيان ومحمد الزكراوي – الناشر المركز القومي للترجمة – الطبعة الأولى ٢٠٠٨ .

٣ - د. إيمان الشماع : السرد في الشعر السكندري الحديث " دراسة تحليلية فنية " – دار اللوتس للطباعة والنشر – الطبعة الأولى (؟).

٤ - إيهاب البشبيشي : قصيدة مخطوطة مهداة من الشاعر _ تحت يد الباحثة) ألقيت في بيت الشعر بمصر في إبريل ٢٠١٢ ضمن فعاليات مهرجان ربيع الشعراء.

٥ - د. جابر عصفور : ذاكرة للشعر – سلسلة مكتبة الأسرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٢ – الناشر الهيئة العامة للكتاب .

٦ - جان بول سارتر : ما الأدب ؟ - مكتبة الأسرة – سلسلة أمهات الكتب (٢٠٠٠) – الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧ - حسن طلب : ديوان إنجيل الثورة وقرآنها :

٨ - الجزء الأول : آية الميدان – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠١٢).

٩ - الجزء الثاني : إصحاح الثورة : الناشر : المجلس الأعلى للثقافة (٢٠١٢) .

١٠ - حلمي سالم : ديوان "ارفع رأسك عالية "- الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى – ٢٠١٢ .

١١ - د. رمضان الصباغ : في نقد الشعر العربي المعاصر – الناشر دار الوفاء بالإسكندرية - الطبعة الأولى .

١٢ - شريف رزق : شعر الثورة وثورة الشعر - مقال منشور في مجلة الثقافة الجديدة الهيئة العامة لقصور الثقافة - العدد ٢٧٤ (يوليو ٢٠١٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣- أ.د صابر عبد الدايم يونس : " إبداع الثورة وتشكيل جماليات المكان والإنسان- دراسة منشورة في مجلة الهلال (عدد أكتوبر ٢٠١١) .

١٤- أ.د صابر عبد الدايم .. إلى شباب ثورة التحرير قصيدة مخطوطة .

١٥- أ.د صابر عبد الدايم : إرهاصات الثورة ورصد مشاهد السقوط – دراسة منشورة في مجلة الشعر (٢٠١٢) .

١٦- عبد اللطيف الجوهري : مصر تنهض من جديد – الناشر : دار غريب – القاهرة ط١ (٢٠١٣) .

١٧- د. عبد الله الغذامي : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – مكتبة الأسرة (٢٠٠٦) الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٨- د. عبد الناصر حسن : تجليات الشعرية عند عبد الوهاب البياتي – الناشر : المجلس الأعلى للثقافة – الطبعة الأولى – ٢٠١٣ .

١٩- فاروق شوشة : ديوان " الرحيل إلى منابع النهر" – الناشر : الدار المصرية اللبنانية – الطبعة الأولى ٢٠١٢ .

٢٠- فؤاد طمان : ديوان : أشعار الثورة – الناشر : دار السفير – الطبعة الثانية (٢٠١٦).

٢١- فؤاد طمان : تجربتي الشعرية : مطبوعة مؤتمر الشعر السكندري الأول – دار السفير – ط(١) -٢٠٠٩.

٢٢- محمد فريد أبو سعدة : " أنا صرت غيري " الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة إبداعات الثورة) الطبعة الأولى ٢٠١١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com